قلوب عبير

روزميري كارتر

الواحة

www.elromancia.com
مرمورية

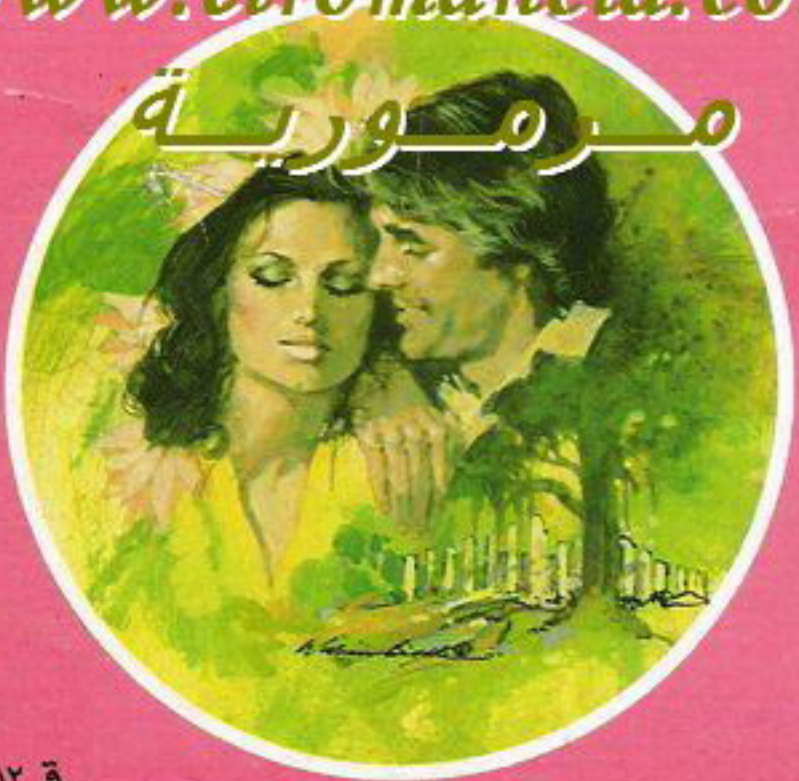

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K12

الواحة

لم تكن خائفة منه. بل مشاعرها وعواطفها هي التي كانت ترعبها وتقلقها. كيف ستذهب معه وحيدة الى قلب الصحراء، وتقاوم اغراءه وانجذابها الى شخصيته؟ لا. لا يمكنها الذهاب، لا لن تذهب.

شمخت برأسها معلنة:

ـ لا تخدع نفسك يا فريزر. انا لا أخاف منك. كل ما في الأمر انني لا أشعر برغبة في التنزه خارج المخيّم.

تبدلت ملامحه. ولمحت في وجهه هبوب عاصفة مدمرة، عنيفة لا تبقي ولا تذر.

قال لها باصرار حاسم:

ـ نغادر غداً مع شروق الشمس.

حلمها بالصحراء كان رائعاً لولا القمقم الذي انفتح فجأة في قلبها.

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ١٠ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٠٠ ق	Cyprus P 1500

١- تعود كوري لاتيمر الى البيت لتجد والدها غارقاً في أحلامه المحطمة. هناك رحلة استطلاع الى الصحراء قد يكون فيها خلاصه، ولكن من المستحيل عليه ان يشارك فيها لأسباب تتعلق بالماضي.

كانت الامطار تهطل بغزارة عندما اوقفت كوري سيارتها داخل المرآب وهرولت مسرعة نحو منزلها الذي تظلله اشجار جبل تيبل. وبدا الضباب المنتشر فوق القمة وبين المنحدرات كثيفاً، ابيض، متموّجاً. وترامى البحر في البعيد كتلة رمادية ترغي وتزبد بغضب هائل. شعرت كوري ان الطقس قاتم ومكفهر مثل مزاجها تماماً، وهي تبحث في حقيبتها عن مفاتيح المنزل. وما ان اصبحت في الداخل حتى غمرتها سعادة بالغة. وقع نظرها على ابريق الشاي في المطبخ، يتصاعد منه بخار ساخن، فعرفت ان والدها سبقها الى المنزل... والدها الذي لا يزال يتمتع بكامل نشاطه الاجتماعي

وحيويته الفكرية، رغم تقدّمه في السن، وتقاعده عن العمل.

دخلت كوري غرفة الجلوس، وهي تمسح بيدها قطرات المطر التي بللت شعرها، وهتفت:

ـ متى عدت الى المنزل؟

قال وعيناه مسمّرتان على مجلة يطالعها:

ـ منذ نصف ساعة.

فأردفت:

ـ الحمد لله على عودتك الآن، اذ ان الضباب يكاد يعمي الابصار. ولم يكن من السهل علي قيادة السيارة في هذا الطقس!

وتمتم والدها، جون لاتيمر، دون ان يرفع رأسه عن مجلته:

ـ أف لهذا الطقس!

أثار تصرّفه البارد دهشة كوري، وهو الذي كان ينتظر عودتها بشوق أبوي ولهفة واضحة. راحت تتمعن في ملامحه مستغربة، حائرة، وهي تراه غارقاً في تفكير عميق، فاستفسرت:

ـ هل تقرأ مقالاً ممتعاً؟

رفع رأسه اخيراً وقال بصوت هادىء مليء بالحنان:

ـ نعم. انه مقال ممتع. ان فريزر ملوري ينوي القيام برحلة استطلاع الى الصحراء.

وسألته:

ـ هل تعني صحراء كلهاري؟

ـ بل بقعة قريبة منها. انظري هذه الخريطة هنا...

تقدمت منه وألقت نظرة على المجلة. كانت الخريطة صغيرة

ولكن واضحة، تُبرز مساحة من الارض تقع في الجزء الجنوبي الغربي من افريقيا، وهي مساحة شاسعة خالية لا اسم لها. هذه هي صحراء كلهاري. وكان اصبع لاتيمر يشير الى جزء ملون محاذٍ للصحراء.

وضعت كوري يدها بلطف على كتف والدها. وخيل اليها ان الخريطة لا تعني أي شيء للشخص العادي، اما هي فتعرف كل شيء عن هذه الصحراء التي نشأت على ارضها وقرأت عنها القصص الشيّقة. ولطالما سمعت عن تلك الرسوم الصخرية، والرحلات الطويلة المضنية ووحشة العزلة تخالطها مشاعر الاكتشاف والريادة. لقد فهمت تماماً معنى هذا المقال بالنسبة الى والدها فسألته بصوت ناعم:

ـ هل وصلتك اخبار هذه الرحلة من قبل؟

أجاب بصوت حزين:

ـ ان عمري لا يسمح لي بالاطلاع على مثل هذه الأمور او المشاركة في تنفيذها.

لم يسبق له ان ابدى اهتماماً بمسائل كهذه، اذ ان حياة جون لاتيمر كانت حافلة بالنشاط والانجازات، ولطالما اشترك في عدد لا يحصى من رحلات الاستطلاع، بالاضافة الى المقالات التي نشرها عنها، واكتسابه بعض الشهرة. لكن كوري ادركت مدى شعوره بالأسى لاخفاقه في مجال واحد، فتابعت اسئلتها:

ـ انت لا تزال تفكر في تلك الرسوم الصخرية، اليس كذلك؟

قال وهو يحدق في عينيها:

ـ نعم. انها هناك يا كوري، في تلك البقعة المجاورة لصحراء كلهاري.

صمتت لحظات معدودة، تتمعن في وجهه المرهق الذي دبّ فيه الحماس فجأة، فعادت بها الذاكرة الى ايام طفولتها:

ـ تبدو عليك علامات الثقة التامة!

ـ انا واثق من وجودها هناك (قال بنبرة حادة)، مع انني لم أرها بعيني.

ـ وتتمنى الحصول على صور فوتوغرافية لهذه الرسوم؟

فكر لحظة، ثم انطلق بلهفة:

ـ ان الحصول عليها يمنح كتابي شكله النهائي. انها كل ما كنت احتاج اليه طوال هذه المدة، يا كوري، اذ انها تضع اللمسات الأخيرة على كل ابحاثي. المخطوطة باتت جاهزة منذ اشهر، ومع ذلك كنت دائماً اشعر بوجود نقص ما، بوجود رسوم الحيوانات الصخرية هذه، وان...

ـ وان فريزر ملوري (قاطعته بهدوء) سوف يقوم برحلة الى الصحراء.

اجابها مطرقاً برأسه:

ـ انها سخرية الاقدار، اليس كذلك؟

قالت كوري بحذر:

ـ كلا. لنفترض ان المجال مفتوح أمامنا لتحويل هذه الرحلة لصالحنا.

عضّ والدها على شفتيه قائلاً:

ـ هذا مستحيل. حتى لو لم يكن عمري ضدي، فانني آخر رجل يفكر فيه فريزر لضمّه الى مجموعته.

لمست في صوته نبرات تدلّ على ذلك العداء القديم. واستعادت كوري كل ما سمعته عن تلك الرحلة التي نظمها والدها مع فريزر ملوري. قاما بتلك الرحلة منذ اكثر من عشر سنوات، عندما كانت لم تبلغ الثانية عشرة، ولذلك لم تعد تذكر تفاصيلها كما رواها والدها. تذكرت بعض المماحكات الكلامية حول الرسوم الصخرية. كان طموح والدها الأساسي، حتى في ذلك الوقت، دراسة الرسوم وتدوينها.

وكانا على وشك العثور على الرسوم، او هكذا ظن والدها، عندما بدأت الأحوال الجوّية تزداد سوءاً، مما أدّى الى اصرار فريزر ملوري على مغادرة الصحراء بأقصى سرعة. ابدى والدها اعتراضه، وحاول قدر المستطاع تأجيل هذا القرار، لكن فريزر تمسك برأيه. واتخذ الخلاف الذي أعقب ذلك طابع العنف، الى درجة اشدّ مما كانت تتصوره آنذاك. وخرج فريزر ملوري منتصراً.

قالت ببطء شديد، شاردة الذهن، وكأنها لا تعي معنى كلامها:

ـ لماذا لا اشترك انا بنفسي في هذه الرحلة؟

نظر اليها والدها بدهشة بالغة، ثم اطلق قهقهة قصيرة:

ـ انت؟ آسف يا عزيزتي. لم ادرك للوهلة الاولى انك تمزحين. حتى ولو لم يكن مشروعك مستحيلاً، فان موقف فريزر منك لن يكون أفضل من موقفه مني.

نظرت اليه باستهجان:

ـ لأنني ابنتك؟

ـ هذا أحد الأسباب. اما السبب الرئيسي فيتعلّق بكونك امرأة.

سألته بفضول:

ـ ألا يحبّ النساء؟

قال وقد تجهّم وجهه:

ـ يمتع نفسه بهنّ عندما يحلو له، وهو ذو براعة مشهورة في اصطياد النساء. لكن فريزر لا يحترم المرأة كامرأة. كانت أمّه امرأة لعوباً، وجذابة الى حد كبير، غير انها لم تكن تهتم كثيراً بشؤون عائلتها... تركت فريزر مع والده عندما كان صبياً يافعاً، وتزوجت رجلاً آخر يستطيع اشباع رغباتها.

ـ ومنذ ذلك الحين (علّقت كوري مستغربة) ادان كل النساء؟

اومأ جون لاتيمر برأسه، ثم اخذ يدرس الخريطة مرة اخرى، وقال بصوت مضطرب:

ـ انا واثق من وجود تلك الرسوم هناك. انها تنتظر من يعثر عليها، انني مستعد للتخلّي عن كل شيء في سبيل الحصول على مجموعة صور محترمة لكتابي.

تركته كوري منكباً على دراسة المقال وتوجهت الى المطبخ. وما ان بدأت باعداد طعام العشاء حتى نسيت كل شيء عن رسوم الحيوانات والرحلة الصحراوية. شعرت بجوع طاغ في تلك الساعة المتأخرة، وسيطرت عليها مشكلاتها الخاصة الملحّة. مع كل ذلك، لم تخبر والدها عن الخلاف الحاد الذي نشأ بينها وبين أريك

هوغن. عليها ان تصل الى حل حاسم قبل البوح بأي شيء الى والدها المرهق، الطاعن في السن. جلسا صامتين الى مائدة الطعام. وخلافاً للعادة، حيث كانا يتبادلان الاحاديث حول شؤونهما اليومية، غرق كل من الأب والابنة في افكاره الخاصة.

أوى جون الى الفراش باكراً. وحاولت كوري وهي تتمنى لوالدها نوماً هنيئاً ان تخفي مشاعر الألم والقلق... اشفقت عليه وهي تراه يتقدم في السن بسرعة. ان وجهه يزداد ضموراً، وقواه تدهورت الى حد مخيف. ولا تحتاج الى طبيب لتدرك ان والدها فقد القدرة على مواجهة قساوة رحلة صحراوية كهذه.

عندما انتهت من اعمال المطبخ، جلست كوري امام التلفزيون. لقد مضى وقت طويل منذ ان فعلت ذلك. كانت تقضي معظم وقتها مع اريك هوغن او تحاول انهاء واجباتها الروتينية المهملة. غير انها في هذه الليلة لا تشعر بدافع لعمل اي شيء.

ظلت تتابع عرض باليه «لبحيرة البجع» الى ان شرد ذهنها، وشيئاً فشيئاً طغت همومها على حواسها، وجعلت تدرك عقم الهرب منها عوض مواجهتها كما هي. فكرت في الأسابيع التي قضتها مع اريك هوغن بكل عذوبتها وبهجتها.

كان اريك رجلاً وسيماً، ذكياً، مرحاً. واختارته كوري من بين مجموعة كبيرة من اصدقائها لأنها وجدت فيه صفات مميزة، بارزة. وهي كعارضة ازياء وجدت نقاطاً مشتركة كثيرة مع مهنته كمخرج افلام يقترن عمله ببريق شخصيته.

لم تكن تعرف ما الذي سيفعله عندما يلتقيان، ولكن لم يراودها

الشك لحظة حول رغبته في الترفيه عنها، وادخال الغبطة الى قلبها.

طاف بها في المطاعم والنوادي الليلية حيث يتجمع اصحاب الشهرة والصيت الذائع، وتذكرت كيف كان الناس يتدافعون لالقاء التحية على اريك وابداء الاعجاب به، فاذا بكل شخص يطلب منه توقيعه الخاص والنساء يتعمدن التحدّث اليه واطراء مواهبه.

ثم تقدم منهما مصوّر وهما يجلسان الى طاولة يحتسيان الشراب. وما ان اطل الصباح حتى كانت صورتهما تزين صفحة احدى الجرائد المحلية. وظهرت كوري ووجهها يكاد يلتصق بوجه اريك، وابتسامة عريضة تلوح على ملامحها وكأنها في غاية السعادة. تذكرت لحظة التقاط تلك الصورة. كان اريك يسرد لها بعض النوادر، واضطرت للانحناء صوبه لسماع كلماته امام تصاعد الضجيج حولهما في النادي الليلي. اما الصورة فأوحت بوضع مختلف تماماً، حيث ان القارىء العادي لا يرى سوى شخصين غارقين في احلامهما والفتاة تبدو اشد هياماً وانبهاراً. واعلن التعليق تحت الصورة:

«فاتن النساء اريك يقع في شباك الحب». كما استطرد صاحب هذا السبق الصحفي يعلن اسم كوري الكامل ويصف بعض جوانب عملها.

ورغم احساس كوري بالغيظ لاقتحام الصحافة حياتها الخاصة، لم تتوقف طويلاً امام مغزى هذه الصورة. لا شك ان شهرة اريك هوغن تكفي وحدها لجعله هدفاً من اهداف

الصحافيين، ومحط تعليقات زوايا الثرثرة واخبار المجتمع. ولم تعترض على ربط اسمها باسمه، طالما انها دخلت في مرحلة الحب والانجذاب وكانت متأكدة ان اريك يبادلها نفس المشاعر.

عندما طلب منها قضاء اسبوع معه على يخت احد اصدقائه، بدأت الشكوك تراودها. كادت ان تقبل وهي تتخيل وجوده معها طوال هذه المدة، وفي نفس الوقت ادركت ان اريك يريد تطوير علاقتهما والانتقال الى مرحلة جديدة. ولكن تربيتها الصارمة، ومقاييسها الاخلاقية التي تشربتها من والديها لم تسمح لها بقبول كل ذلك دون زواج رسمي.

لذلك رفضت دعوته باسلوب لطيف رقيق، فأصيب اريك بدهشة بالغة. لم يكن يخطر في باله ان فتاة ما تستطيع مقاومة سحره وشخصيته. حاول ان يتمالك اعصابه بسرعة، واظهر شهامة لم تعهدها من قبل. ولكن لم تفت كوري تلك النظرة الهازئة الساخرة التي ارتسمت في عينيه قبل ان يستعيد رباطة جأشه.

حافظ على الخروج معها الى الاماكن المعتادة، غير انه اخذ بالتهرب منها كلما سنحت له الفرصة. وهكذا بدأت الاعذار تتكاثر باستمرار، تارة يقول لها انه منهمك في اعماله، وطوراً يشرح لها اهمية بقائه في الاستديو للانتهاء من فيلم معقد وصعب. أرادت ان تصدقه، وهكذا فعلت. ولم تكتشف الحقيقة حتى اليوم. روتها لها زميلتها في عرض الازياء: كان اريك قد انشأ علاقة مع احدى الممثلات، وقضى معها اسبوعاً كاملاً على اليخت. وكانا تواعدا على تناول طعام الغداء سوية منذ بضعة ايام، فحدّثها قلبها بالغاء

هذا الموعد. كادت كوري ان تدير قرص التلفون، عندما فكرت في الموضوع مرة اخرى. لا يمكنها ان تدع شخصاً آخر يصدر الحكم عليه، فلتدعه يطلعها على الحقائق بنفسه.

وللمرة الاولى لم تعر اهتماماً لجمال المطعم المطل على الخليج الفاتن. وحاولت في البداية السيطرة على اعصابها وهما يحتسيان بعض المرطبات، وتصغي اليه يروي لها حادثة شيقة جرت معه اثناء التصوير. انتظرت حتى بدأ بتناول الطعام، فبادرت الى اعلامه بما ترامى الى مسامعها، وبأقصى قدر ممكن من الهدوء.

تجمد في مكانه. ثم اشاح بنظره عن عينيها الواسعتين البنفسجيتين صائحاً:

ـ ماذا كنت تتوقعين! انا لست راهباً يا كوري. ان مفاهيمك البالية لم تعد محط تقدير معظم النساء.

وردّت بصوت منخفض:

ـ كان من حقي ان اعلم.

ولم يحاول اخفاء سخريته اللاذعة:

ـ لماذا؟ انا لست مديناً لك بشيء. لم ارتبط بأي وعد او التزام. لست ذلك النوع من الرجال يا كوري.

لم تجبه. كان حلقها جافاً فصعب عليها التفوه بأية كلمة، حتى ولو ارادت. وتملّكتها رغبة جامحة في مغادرة المطعم. رمت من يديها الشوكة والسكين بغضب وانحنت لالتقاط محفظة يدها، لكن اصابعه اوقفتها. وأحست بقوة قبضته تكاد تعصر معصمها. قال بصوت ناعم هامس:

الصحافيين، ومحط تعليقات زوايا الثرثرة واخبار المجتمع. ولم تعترض على ربط اسمها باسمه، طالما انها دخلت في مرحلة الحب والانجذاب وكانت متأكدة ان اريك يبادلها نفس المشاعر.

عندما طلب منها قضاء اسبوع معه على يخت احد اصدقائه، بدأت الشكوك تراودها. كادت ان تقبل وهي تتخيل وجوده معها طوال هذه المدة، وفي نفس الوقت ادركت ان اريك يريد تطوير علاقتهما والانتقال الى مرحلة جديدة. ولكن تربيتها الصارمة، ومقاييسها الاخلاقية التي تشربتها من والديها لم تسمح لها بقبول كل ذلك دون زواج رسمي.

لذلك رفضت دعوته باسلوب لطيف رقيق، فأصيب اريك بدهشة بالغة. لم يكن يخطر في باله ان فتاة ما تستطيع مقاومة سحره وشخصيته. حاول ان يتمالك اعصابه بسرعة، واظهر شهامة لم تعهدها من قبل. ولكن لم تفت كوري تلك النظرة الهازئة الساخرة التي ارتسمت في عينيه قبل ان يستعيد رباطة جأشه.

حافظ على الخروج معها الى الاماكن المعتادة، غير انه اخذ بالتهرب منها كلما سنحت له الفرصة. وهكذا بدأت الاعذار تتكاثر باستمرار، تارة يقول لها انه منهمك في اعماله، وطوراً يشرح لها اهمية بقائه في الاستديو للانتهاء من فيلم معقد وصعب. أرادت ان تصدقه، وهكذا فعلت. ولم تكتشف الحقيقة حتى اليوم. روتها لها زميلتها في عرض الازياء: كان اريك قد انشأ علاقة مع احدى الممثلات، وقضى معها اسبوعاً كاملاً على اليخت. وكانا تواعدا على تناول طعام الغداء سوية منذ بضعة ايام، فحدّثها قلبها بالغاء

هذا الموعد. كادت كوري ان تدير قرص التلفون، عندما فكرت في الموضوع مرة اخرى. لا يمكنها ان تدع شخصاً آخر يصدر الحكم عليه، فلتدعه يطلعها على الحقائق بنفسه.

وللمرة الاولى لم تعر اهتماماً لجمال المطعم المطل على الخليج الفاتن. وحاولت في البداية السيطرة على اعصابها وهما يحتسيان بعض المرطبات، وتصغي اليه يروي لها حادثة شيقة جرت معه اثناء التصوير. انتظرت حتى بدأ بتناول الطعام، فبادرت الى اعلامه بما ترامى الى مسامعها، وبأقصى قدر ممكن من الهدوء.

تجمد في مكانه. ثم اشاح بنظره عن عينيها الواسعتين البنفسجيتين صائحاً:

ـ ماذا كنت تتوقعين! انا لست راهباً يا كوري. ان مفاهيمك البالية لم تعد محط تقدير معظم النساء.

وردّت بصوت منخفض:

ـ كان من حقي ان اعلم.

ولم يحاول اخفاء سخريته اللاذعة:

ـ لماذا؟ انا لست مديناً لك بشيء. لم ارتبط بأي وعد او التزام. لست ذلك النوع من الرجال يا كوري.

لم تجبه. كان حلقها جافاً فصعب عليها التفوه بأية كلمة، حتى ولو ارادت. وتملّكتها رغبة جامحة في مغادرة المطعم. رمت من يديها الشوكة والسكين بغضب وانحنت لالتقاط محفظة يدها، لكن اصابعه اوقفتها. وأحست بقوة قبضته تكاد تعصر معصمها. قال بصوت ناعم هامس:

ـ لا تكوني حمقاء. الانظار مركّزة علينا. لا يمكنك الانسحاب بهذا الاسلوب.

لا، لا يمكنها الانسحاب هكذا، وجعل جمهوره يدرك رأي امرأة فيه. ان اريك لا يستحق المسايرة واظهار التفهّم لآرائه. ولكنها لم تشأ توتير الاجواء اكثر. واستطاعت ان تفرض على نفسها التقاط الشوكة والسكين مجدّداً. وبعد دقائق معدودة استرسل اريك كعادته في الحديث عن أمور السينما وشجون التمثيل، وكأن شيئاً لم يكن.

انتهت وجبة الطعام، وعادت الى الاضواء المتلألئة، وابتسامة عارضة الازياء المصطنعة. وما ان حل المساء حتى كانت اعصابها كالوتر المشدود.

وها هي الآن وحيدة في اجواء غرفة الجلوس المريحة، ذات الاضواء الخافتة، تستطيع ان تستعيد كل ما يجري، وتفكر برويّة وهدوء. اقفلت التلفزيون وتمدّدت فوق الأريكة. اغمضت عينيها، واضعة كفها فوق جفنيها بلطف ورقّة، وغرقت في استرخاء حالم.

وجمح بها الخيال مرة اخرى. لن ترى اريك مجدداً، وهذه مسألة واضحة حاسمة. لكن حياتها تتطلب تغييرات أوسع. وادركت فجأة، عدم رغبتها في الاستمرار كعارضة ازياء. لا بد انها ادركت ذلك في وعيها منذ فترة. وقد تكون الاسابيع التي قضتها مع اريك حجبت عنها تذمّرها من مهنتها.

والآن فقط، بعد ان انهارت أوهامها في هذه اللحظات الهادئة،

استطاعت كوري الاقرار بعدم تفانيها لمهنتها كعارضة أزياء فعلية، وانها تكره ساعات العمل الطويلة، والرتابة والأوقات المنظمة. وراحت تفكر في بناء حياة اخرى مختلفة، أقلّ ارهاقاً. كان التصوير هوايتها المفضلة منذ عدة سنوات، مع أنها لم تنظر الى استخدام الكاميرا كخدمة ثابتة. هل فاتها القطار، ولم تعد قادرة على قلب صفحة جديدة؟

ان في العجلة الندامة، حدثتها نفسها. قبل التخلي عن مهنة، واقتحام عالم جديد لا بد لها من دراسة كل خطوة بتمعّن شديد. انها تحتاج الى اجازة، اجازة تبعدها عن عملها، والأشخاص الذين تعرفهم، اجازة تنقذها من محيطها الذي يذكرها بقصة حبها المحطمة... اجازة تتيح لها فرصة اتخاذ قرار ناضج. وها هي اجازتها تنتظرها منذ أسابيع، وأجّلتها أكثر من مرة بسبب اريك. أما الآن فهي حرة طليقة، ولكن أين تذهب؟ وتزاحمت في ذهنها عشرات الأمكنة. ان منطقة رأس الرجاء الصالح جميلة وتعج بالسياح من كل حدب وصوب، غير انها تريد الذهاب الى مكان لم تره من قبل.

جلست متململة، تجيل النظر في الغرفة الى ان لمحت المجلة التي تركها والدها على الكرسي. ومدت يدها ترفعها وتقلب صفحاتها حتى توقفت عند المقال الذي كان يقرأه.

كان مقالاً تزينه الصور... صور طبقات صخرية وبعض الخرائب والآثار. ثم رأت صورة فريزر ملوري، فأخذت كوري تدرسها بامعان لبضع هنيهات قبل ان تشرع بمطالعة المقال.

كانت تدرك لبّ الموضوع. فريزر ملوري عالم جيولوجي، تمّ تكليفه بدراسة الطبقات الصخرية في بعض المناطق الصحراوية. ولا تزال الرحلة في أطوارها الاولى من الاعداد والتنظيم ولم يتم اختيار أعضاء فريق العمل حتى الآن. انها مهمة تتطلب وجود علماء، وخبراء في حقول معينة، ومصور ماهر يعمل في معظم الأحيان مع قائد الرحلة، ويسجل اكتشافات فريق العمل على فيلم وثائقي.

مصوّر. . . وأعادت قراءة الفقرة بشعور غامض من الحماس والتوقع. ثم وجدت نفسها تحدق ثانية في صورة فريزر ملوري.

تمعنت في وجهه النحيل ذي الملامح الصارمة الداكنة، وعينيه السوداوين المتّقدتين ذكاء، وفمه القاتم الرابض فوق ذقن عريض. لم يكن وجهه جميلاً جمال وجه اريك، ولكنه لافت للنظر، يترك اثراً مميزاً، فريداً.

لم يكن يخفى على كوري ان فريزر ملوري يصغر والدها في العمر. وادركت الآن ان الفرق بين عمريهما هو اكثر بكثير مما افترضت. ويمكن القول وفقاً للصورة انه في أواسط الثلاثينيات ولم يكن جاوز الخامسة والعشرين عندما تعرف عليه والدها. ولا شك انه يتمتع بصفات استثنائية ليتولى قيادة فريق العمل في هذا السن! انه رجل فريد، وبارع في اكثر من مجال. وهو حسب نصّ المقال، يحوز على احترام الرجال ولا يظهر اي احترام للنساء.

القت المجلة من يدها، وتوجهت الى الشباك. كان الظلام مخيماً، كثيفاً، يحجب المنازل المنتشرة في ظل الجبل، ويخفي البحر

المتثائب من بعيد. غير ان المطر لم يتوقف عن الهطول، مخلّفاً رائحة رطبة قوية، تحبها، وتعرف انها نادرة الوجود في قلب الصحراء.

الم تقل لوالدها انها قد تنضم الى الرحلة، واعتبر كلماتها مجرد نكتة عابرة؟ هل كانت تمزح عندما نطقت بتلك الكلمات؟ نعم. . . وكلا، اذ كانت في اعماق نفسها، وبدون قرار مسبق، تتمنى مغادرة مدينة الكاب (في جنوب افريقيا)، والعيش في اجواء اخرى مغايرة ولو لفترة محدودة.

وأي مكان أفضل من الصحراء؟ ربما استطاعت تبيّن رغباتها وأمانيها الحقيقية في تلك الارض الشاسعة وعزلتها الغريبة. وهي ستحقق غرضاً آخر بانضمامها الى الرحلة، فتتأكد من وجود الرسوم الصخرية بناء على نظرية والدها، وتسجل وتدوّن من اجله كل ما تعثر عليه، ليضمّه الى كتابه الذي شارف على الانتهاء.

ومرت أمامها صورة والدها ببشرته المجعدة وشعره الأشيب، فغمرتها موجة من العطف والاشفاق. لم يعد جون لاتيمر الآن سوى طيف باهت لذلك الرجل الذي ارتاد ذات مرة المناطق المعزولة المقفرة من افريقيا، وبحيويّة ادت الى اكتشافات هامة. كرس معظم حياته للتوصل الى معرفة أعمق حول أصول الشعوب القديمة التي قطنت القارة. وكل ما عثر عليه ودرسه ودوّنه وجد طريقه الى صفحات كتابه.

واعتقدت كوري ان المخطوطة التي طبعتها على الآلة الكاتبة هي جزء لا يتجزأ من الشخص الذي خطّها بيده. كل صورة وكل رسم او تصميم، يروي تفاني رجل جعل مهنته محور حياته

بأكملها. وأصبح الكتاب منذ مدة من الزمن جاهزاً للنشر، ولكن والدها رفض اعتباره كذلك، كأن قناعة راسخة جعلته ينتظر العثور على سجل أو وثيقة جديدة، فتكتمل الصورة، وينجز حلمه الكبير.

وارتفع صوت من أعماقها يحثّها على الاشتراك في الرحلة التي لم تسمع عنها الا منذ ساعات قليلة. وهل باستطاعتها الاشتراك؟ تلك مسألة اخرى.

ألم يقل لها والدها ان ذلك مستحيل... ونتيجة سببين رئيسيين، انها كوري لاتيمر، ويشكّل اسم لاتيمر بالنسبة الى فريزر ملوري كابوساً مخيفاً؛ وهي امرأة، ولا مكان للنساء في حياة قائد العملية.

ابتعدت كوري عن الشباك وأمسكت بالمجلة ثانية، فاذا بالوجه الصارم القوي يحملق بها عبر الحروف السوداء، ولمحت في عينيه تحدّياً لا يقاوم. وصاحت:

ـ سوف أذهب.

وانتابتها فجأة نوبة من الضحك، فتردد صداها في الغرفة الخاوية، الساكنة. ثم توجهت نحو غرفة نومها لرسم خطة محكمة. لم تغمض عينيها الا بعد ساعات طويلة، واثر اتخاذ قرار حاسم في تلك الليلة المصيرية.

نهضت في الصباح عاقدة العزم على تحقيق هدفها. بدا قرارها الليلي المفاجىء اكثر واقعية في وضح النهار، وازدادت تصميماً على وضع خطتها موضع التنفيذ.

سوف تعمد غداً او بعد غد الى التوجّه بسيارتها صوب مزرعة الغنم التي يملكها فريزر ملوري، وتقدّم طلباً للحصول على عمل مصور معه. ولكن عليها في البداية تدبير بعض الامور. لا يمكنها تقديم نفسها اليه بصفتها كوري لاتيمر، اذ سيرفضها مباشرة، وبدون تردّد. ويدلّ وجهه في الصورة انه رجل لا تحركه الدموع أو غصّات الاستجداء أو أية خدع اخرى تتقنها الانثى.

سوف تقدم نفسها اليه كشاب اسمه كولن لارسن وستحمل معها مجموعة من أفضل صورها، ويناقشان الموضوع بصراحة رجلين متمرّسين.

وانها، لحسن حظها، طويلة القامة، فكرت كوري وهي تقف امام المرآة، واذا ما ارتدت الثياب الملائمة، وأجرت بعض التعديلات الطفيفة ستبدو كرجل بدون عناء.

أمعنت النظر في مظهرها بعد مرور أربع وعشرين ساعة مرة أخرى، فشعرت بالارتياح التام. قامت بتقصير بنطالها قليلاً، وارتدت قميصاً مخططاً واسعاً لاخفاء أي دليل انثوي، وقصت شعرها الأسود الطويل، ووضعت فوق عينيها البنفسجيتين نظارة ذات طراز يوحي بالجدية، ثم لصقت شاربين فوق شفتها العليا، وخاطبت نفسها قائلة:

ـ كولن لارسن، انك رجل جذاب، والويل لمن يخالف رأيك.

كان جون لاتيمر قد ذهب الى المدينة عندما خرجت القامة الهيفاء من المنزل متأبطة مجموعة من الصور، وتوجهت الى المرآب. حددت موعد خروجها بدقة لا تقل عن اختيارها للباسها فهي لن

تبوح بشيء الى والدها حتى تكون حصلت على عملها الجديد.

قادت السيارة ببطء عبر منعطفات الجبل الملتوية الشديدة الانحدار، ثم ضاعفت سرعتها عندما بلغت الطريق العام المؤدي الى البراري. وما هي سوى لحظات حتى خلفت المدينة وراءها، وحتى جبل تيبل، بقممه المغطاة بالضباب، اختفى عن الأنظار.

حاولت الاسترخاء وهي تقود السيارة. لم تكن المزرعة قريبة، بل تبعد نحو مئة ميل شمالي المدينة. وكانت قبل مغادرتها أجرت مكالمتين بالهاتف، مكالمة الى الوكالة التي تعمل معها لتقول أنها لن تكون هناك ذلك اليوم، والأخرى الى فريزر ملوري، لتتأكد من وجوده في مزرعته بعد اجتياز كل هذه المسافة.

ومع ابتعادها عن مدينة الكاب ازداد ادراكها للأسباب الكامنة وراء تكيّف الرجل الذي ستقابله مع قساوة الصحراء وخشونتها. كانت في توغّلها شمالاً تشاهد عالماً آخر، اذ لا بحر، ولا خضرة ولا شواطىء ذهبية حالمة. انها الآن في منطقة شاسعة منبسطة، جافة حارة، وملائمة لتربية الأغنام. انها شبه بادية، فكرت كوري، وفهمت كيف يصبح الناس الذين يعملون هنا أشد خشونة وقوة من سكان المدن.

وها هي الآن تبحث عن منعطف يؤدي الى بلد يدعى ميوفونتين، أي ينبوع الجمال. وأدّى بها طريق جانبي يكسوه الغبار الى بوابتي حديد كبيرتين. ترجّلت كوري من سيارتها لفتح البوابتين، ومرت عبرهما ثم أوصدتهما قبل أن تتابع طريقها. وشعرت بيديها ترتجفان وهي تمسك مقود السيارة مرة أخرى.

لم تكن المزرعة تبعد أكثر من ميلين عن البوابتين. ووجدت نفسها فجأة أمام مزرعة تحيط بها أشجار الصفصاف وساقية صغيرة. ورأت المنزل الرئيسي بهندسته الهولندية الجميلة وبنائه الضخم، مما أثار دهشتها. لم تكن تتوقع ان يكون منزل المغامر صاحب الوجه الصارم بهذا الجمال الفائق.

بدت مذهولة ومضطربة الأعصاب، وهي تواجه هذا اللغز. واذا بثقتها تتضاءل وتتلاشى مدركة أن فريزر ملوري سيكتشف أمرها، وسيلعن خدع النساء الخسيسة. وكادت أن تعود الى سيارتها وتقفل راجعة. وهمّت بادارة محرك السيارة، عندما عبرت مخيلتها صورة والدها. رأته جالساً على كرسيه قرب موقد النار، تحدق عيناه في البعيد بحزن وترقّب وأمل شاحب. وبلمح البصر ترجلت من سيارتها ومشت صوب المنزل.

قابلها فريزر ملوري في حجرة المكتبة، حيث جلس وراء مكتب كبير نتن الأخشاب. كان منكباً على الكتابة، فلم يرفع رأسه لتوه. مرت لحظة مشحونة بالتوتر، ثم رأته ينظر الى قامتها الفارعة بعينين متفحصتين. انتصب واقفاً واتجه نحوها مرحباً:

ـ أهلاً سيد لارسن.

ظلت كوري جامدة في مكانها، وأحست بشلل غريب يغزو أوصالها. لا تدري ماذا تفعل أمام رجل غامض تقابله للمرة الأولى. وكرر كلماته:

ـ سيد لارسن؟

بلعت كوري ريقها. لمحت تعبير عينيه الفضولي، ويده الممتدة

لمصافحتها. استعادت بعض رباطة جأشها، ومدت يدها وقالت بصوت عميق تلك الكلمات التي طالما تدربت على تلاوتها:

ـ سيد ملوري، اشكرك على استعدادك لمقابلتي.

صافحت يده يدها. كانت قبضته قوية، متينة، قبضة رجل يصافح رجلاً آخر. سرت في كفها وذراعها قشعريرة غريبة دون سبب واضح. وصافحته بقبضة ثابتة، قوية، ثم سحبت يدها ومشت وراءه نحو المكتب، شاعرة بالارتياح لتمكّنها من الجلوس والسيطرة على أوصالها المضطربة، خاصة وان المكتب العريض يفصل بينهما الآن. كان بالغ الجاذبية، باهر الشخصية، وأدركت ان ردة فعلها ربما عبّرت عن غريزة طبيعية يصعب كبتها بسهولة.

وأخيراً سمعته يسألها:

ـ هل تتناولين شراباً بارداً؟

كان حلقها جافاً، وتمنّت لو يقدم لها عصير برتقال بارد، لكنها عدلت عن رأيها لكي لا تثير شكوكه. فابتسمت:

ـ شكراً لا أريد شيئاً.

قال بلهجة جازمة، باسطاً يديه المسمرتين فوق مكتبه:

ـ حسناً لنبدأ بالحديث. انت تريد الانضمام الى الرحلة الصحراوية.

ـ نعم، كمصوّر.

ـ هل جلبت نماذج من صورك معك؟

ـ نعم.

ناولته الصور، وبدت أكثر هدوءاً وثقة. انكب على الصور

يقلبها واحدة تلو الأخرى، فراحت هي بدورها تتمعن في ملامحه. عجبت لمدى اضطرابها وتلعثمها منذ لحظات قليلة، مع أنها كانت رأت صورته، وعرفت مسبقاً ماذا تتوقع. كان يشبه صورته... شكل الفم وسخرية العينين السوداوين وعنقه الغليظ الأسمر. لكن الصورة تظل مجرد ظل على الورق، ورغم دقتها، فهي لا تكشف الرجولة التي يتمتع بها، ولا تبرز هذه الهالة من القوة والسلطة والصرامة التي لمستها وراء مظاهر الكياسة والتهذيب.

طالما حدثها والدها عن فريزر ملوري، ووصف لها كل الصفات التي لمستها خلال دقائق معدودة. ولكن والدها رجل يصف رجلاً آخر، وعرفت كوري، بعد فوات الأوان، ان للمرأة موقفاً آخر من ذلك. تمنّت لو تستطيع سحب طلب العمل... ليس لأنها لا تتقن مهنة التصوير، أو تعجز عن تنفيذ خدعتها... بل لخوفها من أمر أعمق وأشد تعقيداً. انه شعور بالخوف فهمت مغزاه لكنها رفضت سبر أغوازه السحيقة.

ألقى فريزر ملوري بالصور جانباً. ونظرت اليه كوري تتوقع رأيه، فقال:

ـ يبدو أنها صور جيدة.

وعندما شكرته على اطرائه، سألها:

ـ ما هي مدى معرفتك بالجانب الفني من هذا العمل؟

ـ أعرف ما يكفي يا سيد ملوري.

صرفا بعض الوقت يناقشان جوانب التصوير العملية. غمرت كوري غبطة منعشة وهي تسهب في الحديث عن كيفية التقاط

الصور، واتخاذ الاحتياطات اللازمة في المناطق الصحراوية ذات الوهج الكثيف، والحصول على العدسات الملائمة، وتحميض الصور واستخراجها. وتأكدت الآن ان مشاركتها لوالدها في بعض رحلاته الشاقة لم تذهب سدى، وان تفكيرها في التخلي عن عالم الازياء لتصبح مصورة محترفة خطوة طبيعية جداً.

وفجأة سألها فريزر:

ـ هل تعتقد انك تستطيع تحمّل اوضاع الصحراء؟

لاحظت تغيّراً في لهجته، فسارعت الى طمأنته ثم استفسرت:

ـ لماذا تسألني هذا السؤال سيد ملوري؟

حاولت قدر امكانها الاحتفاظ بمظهر هادىء، وحدقت في عينيه معلنة:

ـ ان المظاهر خداعة، (واستطردت بصوت منخفض)، أستطيع تدبّر أمري يا سيد ملوري.

أجاب بلهجة جافة:

ـ هذه مسألة هامة. ان الصحراء تضطرنا للاعتماد على أنفسنا.

تنفست كوري بارتياح وهي تسأله:

ـ هل توافق على عملي معك سيد ملوري؟

فابتسم بلطف:

ـ لا حاجة للرسميات، خاطبني باسمي الأول، فريزر. اذا كنت ترغب في العمل، يا كولن، فأهلاً وسهلاً بك. تبدأ الرحلة في

غضون ثلاثة أسابيع.

www.elromancia.com

٢ ـ بعد أن نجحت في الذهاب الى الصحراء ، بقي على كوري أن تتعامل الآن مع عشرة رجال مختلفي الأمزجة . وبعضهم ، كقائد البعثة فريزر ملوري مثلاً ، لا يطيق النساء !

تجمع فريق العمل في ميوفونتين بعد ثلاثة اسابيع بالضبط . كان الفريق يضم عشرة رجال . قدّم فريزر كل واحد منهم الى الآخر باسلوب لا أثر فيه للرسميات . سبق لبعضهم ان التقى بالآخرين في رحلات مماثلة . أو في مؤتمرات تتعلق باختصاصهم . ولم يكن ذلك مستغرباً ، اذ ان العلماء والمهندسين والجيولوجيين يعيشون في عالم خاص بهم .

احتفظت كوري بالصمت أثناء وجبة الغداء المبكرة ، والأحاديث التي اعقبتها بهدوء حذر ، مكتفية بكلمات مقتضبة رداً على أي سؤال يوجه اليها . وقررت أن عدم لفت الانتباه اليها هو

www.elromancia.com

أفضل سبيل لنجاح خطتها . اقترب منها أحد العلماء ، وبادرها بالحديث ، ودار حوار متقطع ، لم يتطرقا أثناءه الى الرحلة الا بشكل عابر . كان اسم العالم مارك ، عذب العبارات ، لطيفها ، تعلو وجهه مسحة من الجدية ، فاطمأنت كوري الى شخصيته ودماثته . ولكنها لم تدع نفسها تسترسل في الحديث والتعرف الى اموره الخاصة اكثر ، وذلك كعادتها عندما تستلطف أحد الأشخاص .

لم يكن مضى على وجودها في صحبة هؤلاء الرجال وقت طويل ، وأدركت لتوها ان عليها الاحتراس الدائم والتنبه الى كل كلمة تقولها ، أو أية حركة تقوم بها ، وهي التي ستصرف معهم اكثر من شهر . انها رجل يتحرك في محيط محفوف بالمخاطر ، محيط الرجال .

ولا بد لها من مضاعفة احتراسها في تعاملها مع فريزر ملوري . لاحظت قوة ادراكه الخارقة التي لا تبارحه ، وأية اشارة أو حركة خاطئة توحي بانوثتها ، ستثير شكوكه وتقضي عليها . وهو حتى الآن لم يكشف الا جانباً واحداً من شخصيته ، ولم تكن كوري بحاجة الى ادراك تلك الجوانب الأخرى المتسمة بالعناد والتسلط والصلابة . انه رجل صعب المراس ليس من السهل خداعه أو التمرد عليه .

كان مارك مسترسلاً في الحديث عندما ألقت كوري نظرة عابرة على فريزر . رأته يقف وسط المجموعة ، حيث بادر احدهم بسؤاله عن موضوع معين والتف الجميع حوله يستمعون الى جوابه

بآذان صاغية . لم تسمع الكلمات التي تلفظ بها ، لكن صدى صوته تردد في اعماقها واثقاً دقيقاً ودوداً واسع الاطلاع .

وبدا لها اكثر طولاً مما كانت تظن ، اكثر طولاً من الآخرين . ولم يفتها ان كثيرين لا تنقصهم الوسامة ، أو الحذاقة ، أو الشهرة في مجالاتهم المتعددة ، وان معظمهم أسمر البشرة مفتول العضلات مما يدل على قضاء بعض اوقاتهم في العراء . لكن فريزر شخص مميز . وفكرت كوري أن أي عابر سبيل لن يتردد في اعتباره قائد فريق العمل . وأحست باعتزاز وهي تغرق في أفكارها هذه .

ان الطائرة التي ستقلهم في المرحلة الأولى من الرحلة تربض في مهبط قريب ، اما القبطان فكان فريزر نفسه . وازداد احترام كوري له عندما أقلعت الطائرة بدون عناء ، وكشف هذا الرجل عن مهارة جديدة يحترفها باتقان .

جلست كوري قرب النافذة . وبدأت الطائرة تتوغل في اتجاه الشمال ، وهي تحاول سلخ نظرها عن هذا الرجل الجذاب الذي ملك حواسها ، مركزة نظرها على الأفق البعيد . والمساحات القاحلة المترامية .

كان مارك يجلس بجانبها ، يتصفح مجلة تقنية ، تماماً مثل بقية زملائه . لم تكن كوري في مزاج يتيح لها المطالعة . انها تجد لذة خاصة في تحليق الطائرة . وخالت ان القبطان تحوز عليه مشاعر مماثلة ، السرعة والقوة والاندماج بالفضاء ، مسائل أليفة لديها .

تنبهت الى انهماكها بفريزر ملوري في حين يتوجب عليها التفكير في الأيام المقبلة ، وأهمية المحافظة على قناعها المسرحي .

الويل لهااذا اكتشف ملوري هويتها الحقيقية ، ناهيك عن الغضب الذي سيتاب الرجال الآخرين ، وهم يرون امرأة عادية تقتحم عالمهم الخاص . حتى والدها لن يظهر تفهماً معقولاً لوضعها الشاذ .

لم تبحث خطتها مع والدها ـ اذ كان سيحاول منعها من تنفيذها . لم يعرف اكثر من رغبتها في قضاء اجازة قصيرة بعد قطع علاقتها مع اريك هوغن . ولذلك لن يقلق عليها كثيراً ، وسيرحب بها فور عودتها ، وسيطير من الغبطة عند رؤيته صور رسوم الحيوانات الصخرية ، ويتناسى انزعاجه من اطلاعه على الحقيقة .

أخذت المناظر الطبيعية تتبدل والطائرة تتوغل مخترقة الفضاء . انحسرت الأراضي الزراعية ، وبرزت مساحات خالية من الأشجار ، ذات تربة حمراء تتوهج في حرارة الشمس الساطعة . انهم يدخلون الصحراء الآن لا محالة . شعرت كوري بانكماش في معدتها . وألقت نظرة سريعة على القبطان ، ثم أشاحت بعينيها صوب النافذة .

وما هي الا لحظات معدودة حتى كانت الطائرة تهم بالهبوط . ترجل الجميع وسط بقعة معزولة ، وتوجهوا الى كوخ صغير ذي حيطان طينية بيضاء وسقف من الفولاذ المضلع . ولمحت ثلاث سيارات جيب تنتظر على مسافة قريبة ، حيث توجه فريزر نحوها ، ودخل في حوار ودي مع احد العمال .

وضعوا كل المعدات والأمتعة والحقائب في السيارات . ورأت

فريزر في المقدمة وراء المقود ، فاختارت السيارة الثانية . لا يجوز الاقتراب منه كثيراً لئلا يفتضح امرها ، خاصة وانه رجل حاذق ، وهي تتصبب عرقاً كلما قابلته وجهاً لوجه .

راحت السيارات تشق طريقها وسط الهشيم والغبار ، والحر اللاذع ، وهي لا تزال عاجزة عن طرد شبح فريزر من ذهنها . انه يختلف عن كل الرجال الذين تعرفت اليهم حتى الآن . فكرت بصديقها السابق اريك ، بثيابه الأنيقة وتصرفاته المتقنة . وعبر خيالها شريط الممثلين والمخرجين والمصورين الذين اختلطت بهم ، وتمتعت بصحبتهم حتى الأمس القريب . ان فريزر بخشونته ، ورجولته الفظة ، يبدو شخصاً غريباً ضمن هذه الأجواء التي عايشتها . لا يمكن أن تقبل به كشخص تقيم معه علاقة ما خارج العلاقة الحالية ، ومع ذلك وجدت انبهارها به لغزاً غامضاً .

حولت نظرها عن العربة الأمامية ، محدقة الى الصحراء الصامتة ، وتساءلت بامتعاض : هل كانت مجنونة وهي تدخل هذه المغامرة ؟ من الصحيح ان قلب والدها يتقطر حزناً على رسوم الحيوانات ، ولكنه لم يرها في حياته . كل ما في الأمر أن الوقائع التي يستند اليها جاءت نتيجة محادثة مع أحد المغامرين ذوي الخبرة الضئيلة . سيفرح كثيراً لو عادت اليه بصور الرسوم ، التي طالما دغدغت احلامه ، وجعلته يؤجل نشر كتابه الذي شغل معظم عمره .

والآن بعد ان سبق السيف العذل ، ويتعذر عليها التراجع ، انحت كوري باللائمة على نفسها لأنها سمحت لمشاكلها ان تدفعها

الى الالتحاق بالرحلة وفق اعذار كاذبة . فهي كانت ستتغلب على غدر أريك آجلاً ام عاجلاً . اما بالنسبة الى عرض الأزياء ، فكان من الأفضل التخطيط لمهنة جديدة في أجواء أقل خطراً من الصحراء .

انها تتبع نزواتها عادة ، لكن ليس الى هذا الحد المتهور . اجتاحتها رغبة لتغيير مجرى حياتها فلم تتمعن في نتيجة قرارها المتسرع . اختالت اعتزازاً بقناعها الجديد ، فلم تحسب حساب مدى امكانية نجاحها في لعب دور رجل لعدة اسابيع .

ان التحول الى رجل يتطلب اكثر من شارب ونظارات مظللة . سيكون عليها قضاء الليالي في خيمة مشتركة ، حيث يخلع الرجال ثيابهم امامها ، وينطلقون في أحاديثهم البذيئة . وكيف ستخلع ثيابها هي وتستحم ، وتهتم بنظافتها كأنثى ؟ هل تحلم أن تعيش وسط كل هؤلاء الرجال ، وتخفي عنهم حقيقتها ؟

نعم . . . ومضت عيناها ببريق عزم مفاجيء . انها قادرة على انهاء مهمتها . وكما فات أوان التراجع ، تبخرت كل البدائل ايضاً . ستنهي مهمتها ولن يكشف أمرها أحد .

توقفت القافلة بجانب منخفض طبيعي يشكل حوضاً مليئاً بالمياه . وانتصبت بعض الشجيرات الذابلة في الجهة المقابلة ، موفرة شبه ظل لاتقاء الحر . والأهم من ذلك تؤمن الشجيرات ملجأ من البرد الصحراوي حيث تفقد الصحراء حرارتها بسرعة مع غروب الشمس كما حدثها والدها ، ويصبح الليل قارساً كالجليد .

ولاحظت كوري ان الشمس توشك على المغيب . بدت كتلة

كروية مشتعلة ، تحضن الأفق المترامي . ورغم رؤيتها المتكررة لجمال الغروب الافريقي وجدت نفسها أمام منظر أخاذ لا مثيل له . اكتنفها بهاء الفضاء الرحب ، فلم تتنبه الى الرجال وهم ينصبون الخيم .

وسمعت صوتاً يهتف وراءها :

ـ انه منظر أخّاذ اليس كذلك ؟

استدارت كوري ورفعت نظرها لترى رجلاً ينتصب شامخاً امامها كتمثال قديم ، تتدفق حرارة الشمس الغاربة في ملامحه الصخرية . تجمد الدم في عروقها ، وحل في حلقها جفاف رهيب . بلعت ريقها ، وهي تلمس أهمية اجابتها لئلا تثير الشبهات :

ـ انها حقاً أخّاذة .

رأت عينيه تتقلصان ، وكأنه أدرك مأزقها ، لكن صوته ظل عادياً :

ـ ماذا دهاك يا كولن ؟

وقفت وقفة ثابتة لاخفاء اضطرابها الشديد ، وتمتمت بصوت عميق منخفض النبرة :

ـ لا شيء البتة . كنت اتخيل نفسي التقط صورة هذا المشهد الرائع .

ـ انه مشهد يستحق لوحة زيتية ، وليس مجرد كاميرا . علينا الاسراع في نصب الخيام يا كولن . ما ان تغيب الشمس حتى تنتشر الظلمة بسرعة .

ـ طبعاً .

وعندما انضمت الى الرجال المتحلقين حول العربات ، أدركت كوري انها ارتكبت أول أخطائها ، وخطأ بالغ البساطة أيضاً . اعتادت في حياتها القصيرة أن ترى الرجال ينصبون الخيام والنساء يتولين شؤون الطهي ، ولكنها تخلت الآن عن مهماتها كرجل ، وبدون وعي منها .

لا بد من الاحتراس الدائم ، خاطبت نفسها ، وهي تتقدم لتساهم في اداء دورها . وطرق مسامعها صوت أجش :

ـ هل بدأنا بالتهرب من واجباتنا ؟

لم ترفع كوري عينيها . عرفت ان صاحب الصوت يدعى بويد خبير الأحوال الجوية ، ويكاد يضارع فريزر طولاً . وهو فظ وخشن الملامح . وكانت عندما تعرفت اليه في الصباح لمست بعض الازدراء في سلوكه . حاولت آنذاك طرد هذا الانطباع ، معللة نفسها بتوقع معاملة أفضل بعد زوال قلقها . لكن لهجته الهازئة هذه المرة بانت واضحة لا شك فيها . وأعاد الكرة :

ـ ما بالك أيها الرجل الهزيل ؟

ونتيجة خبرتها بالرجال ، فهمت كوري انه يتعمد استفزازها . قالت بأعصاب هادئة :

ـ لم يخطر ببالي التهرب من واجبي .

فتابع استهزاءه بفظاظة :

ـ انك مغرم بمغيب الشمس ؟ اعرف نوعيتك يا لارسن . لن يمكنك تحمل الصحراء طويلاً .

واقترب منها . أحست بطبيعته العدوانية ، المجسدة في منكبيه العريضين ، وصفات الشقي المتنمر . استطرد ينفث كلماته :

ـ كيف حصلت على هذا العمل ؟ هل انعدم وجود مصورين آخرين أم ماذا ؟

كان من السهل الظهور بمظهر رجل ، اما انتحال جوهر شخصية الذكر ، فتلك مسألة أخرى . ما هي ردة فعل رجل حقيقي على هجمات بويد ؟ تساءلت كوري بيأس قاتل . هل يخرسه بكلمات محكمة ؟ أم ان هذه طريقة امرأة في مواجهة وضع كهذا ؟ ربما كان يعمد الى لطمه على وجهه بجماع قبضته ؟ حتى ولو خسر العراك الذي لا بد من نشوبه ، يكون أثبت مقدار شجاعته . كان ذلك خياراً يستحيل عليها انتهازه ، قالت بحذر :

ـ لماذا لا تبحث الموضوع مع فريزر ؟ انه خير من يشفي غليلك .

وبصق بويد بقرف :

ـ يا لك من احمق مغفل .

أصاب بعض الرذاذ خد كوري . استشاطت غيظاً . نسيت في تلك اللحظة من هي ، وكيف عليها أن تكون . ورفعت يدها ، غير عابئة بالعواقب لتصفع وجه بويد عندما قال صوت هادىء :

ـ دع الولد وشأنه .

كان الصوت صوت مارك . لم تره كوري يقترب منها ، وهي تتأجج غضباً . وانتبهت الى يدها المرفوعة ، فأرختها ببطء ، محاولة كبت اضطرابها وقد صدمها الواقع الأليم .

كادت تصفع وجه بويد ، فيظنها صفعة رجل ، ويضطر لرد الصاع صاعين . وكان افتضح أمرها خلال ثوانٍ معدودة .

استدار بويد نحو مارك يتهدده :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك .

ورد مارك العالم الهادىء ، الدمث ، بلهجة جازمة ، مما اثار دهشة كوري :

ـ كلا . لا يجوز السماح لكما بالعراك في يومنا الأول ، وافساد معنويات الجميع .

ظل بويد في ثورة من الغضب :

ـ هذا الولد معتوه ، يتيّمه غروب الشمس ونحن نقوم بكل الشغل ،لا مكان له بيننا .

أجاب مارك بدون تردد :

ـ فريزر اختاره . دعه وشأنه يا بويد . لا يزال في مطلع العمر ، وسيتعلم شيئاً فشيئاً .

نظر بويد الى كوري التي ظلت صامتة طوال الوقت :

ـ اياك ان تقترب مني ايها المغفل .

وعلق مارك عندما هم بويد بالتحرك :

ـ انه رأي حكيم ، لا تقترب منه . انه يتقن عمله ، ولذلك تجده هنا ، ولكنه يحب اثارة المشاكل للآخرين .

ووجدت كوري صعوبة في السيطرة على صوتها وهي تقول :

ـ ولكن لماذا لا يزعج احداً سواي ؟

طمأنها مارك بنظرات ذات مغزى :

ـ لأن أحد أصدقائه الأعزاء أراد الحصول على عملك ، ولكنك سبقته اليه ، ولا بد من الاعتراف أن بنيتك لا تساعدك كثيراً ، فتشجع اشخاصاً مثل بويد لعرض عضلاتهم .

قالت كوري باعتداد لا يمت اليها بصلة :

ـ ان ضربة واحدة كانت كافية للقضاء عليه . ولكن أعتقد انك على حق يا مارك ، من الأفضل تجنبه قدر المستطاع .

www.elromancia.com

٣ ـ ثلاثة ايام في المخيم علمتها كيف تتغلب على الصعوبات وتجد متعة في عملها . ولكن فريزر يفقدها توازنها : انه نقطة ضعفها الوحيدة .

أخذ الليل يرخي سدوله عندما أنهى الرجال نصب الخيام . جمعوا بعض الأغصان اليابسة والأعشاب الجافة ، وأضرموا فيها النار ، وذلك من أجل طهي الطعام وصد حيوانات الصحراء المفترسة .

جلست كوري مسترخية بجانب ألسنة اللهب المضطرمة ، تتنشق رائحة الطعام الشهية ، وتصغي الى ازيز حشرات الليل تختلط بهسهسة تقطّر اللحوم المشوية في قلب النيران . وطافت على فمها ابتسامة حائرة وهي تفكر في زميلاتها وزملائها ، وردة فعلهم اذا ما رأوها الآن ، مقرفصة فوق الرمل بلباس الرجال ، تزدرد

www.elromancia.com

طعامها من صحن يثير اشمئزاز عارضات الأزياء ، ذوات الأنفة والأناقة .

وأدركت كوري ان عشاء الليلة سيكون استثنائياً ، لن يدخل فمها بعد الآن سوى المآكل المعلبة ، وبكميات قليلة . وستصبح قطرة ماء أغلى من الذهب في أرض تندر فيها مياه الشرب العذبة .

وارتفعت حولها أصوات همهمة ، ذات رنين عميق ، رجولي أجش . كانت هذه هي المرة الأولى التي تجد نفسها فيها بين مجموعة من الرجال ولا تشكل محط الاهتمام والاطراء . اما الآن فكل رجل يرخي العنان للسانه ، ويتفوه بما يطيب له ، دون رقيب أو رادع . ترى كيف كانوا سيتصرفون لو عرفوا انها انثى اقتحمت حياتهم الخاصة ؟

كان مارك يجلس بجانبها ، غارقاً في حديث مع عالم جيولوجي . وترامى صوته اليها هادئاً ، خفيضاً ، بارعاً . شعرت بالسعادة لكونه صديقاً لها .

وها هو بويد ، يجلس بعيداً عنها ، يروي نكتة بذيئة ، ويقهقه من أعماق قلبه .

زمت كوري شفتيها . تضاءلت صورة بويد ، خبير الأحوال الجوية ، في ذهنها ، لتحل محلها صورة فريزر ملوري . رأته يتنقل من مكان الى آخر ، يتبادل أطراف الحديث مع فريق عمله . ولاحظت التجاوب الودي الذي يحظى به . حتى بويد تصرف باحترام فائق . وفجأة سمعته يقول بصوت أقرب الى الهمس :

ـ سمعت انك تورطت في مشكلة مع بويد .

وافقت بهز الرأس ، مبدية امتعاضها ، فتابع :

ـ انه فظ المسلك ، ولكنه طيب القلب . حاول أن تتفهم طبيعته يا كولن .

ـ حسناً سأحاول .

تمتمت عبارتها ، ونبضات قلبها تزداد خفقاناً ، متمنية لو يدنو منها أكثر فأكثر . ماذا دهاها ؟ خاطبت نفسها . . . هل فقدت صوابها ؟ ألم تلتحق بهذه الرحلة لأنها أرادت الابتعاد عن أحد الرجال وكل ما يمثله ؟ اتت الى هنا لحاجتها الى العزلة ، والتروي ، واستعادة ثقتها بنفسها . لم يخطر ببالها الالتقاء بشخص يؤثر على مشاعرها الى هذا الحد الهائل المخيف .

تابع فريزر حديثه ، مشيراً الى اختصاص كل فرد من أفراد الفريق . كانت لهجته ودية ، حميمة ، تهدف الى تهدئة اعصابها ، وحملها على العمل بانسجام مع بقية المجموعة .

لكنها كانت في عالم آخر ، فلم تفقه شيئاً مما قاله . ومع ان الظلام الدامس حجب عنها ملامح وجهه ، لم تجد صعوبة في رؤيتها كما هي بعين خيالها ، وأحاسيسها ، وكل خفقة في عروقها . كان يتكىء على مرفقيه ، ماداً امامه ساقيه الطويلتين ، يكلمها دون تكلف أو استهجان . اما تلك الهالة الباهرة فظلت تحيط به ، مضاعفة استسلام كوري لخيالها وأحلامها .

هل كان اهتم بها لو تعرف اليها ككوري لاتيمر ، فتاة يتدلى شعرها الأسود فوق كتفيها وينعكس مزاجها في عينيها البنفسجيتين الواسعتين ؟ هل ينجذب نحوها مثلما انجذبت نحوه هي ؟

يا للهول ، قطعت شريط احلامها ، مدركة انها ترتكب حماقة مميتة . يجب عليها الاحتراس الدائم ، وعدم السماح لنفسها بالتورط في علاقة عاطفية وحيدة الجانب تزيد شقاءها شقاء . ان فريزر ملوري لا يحترم النساء ، رغم تمتعه بهن عندما تسنح له الفرصة .

من المحتمل ان تنشأ بينهما علاقة عاطفية ، لو التقيا في ظروف عادية ، لكنها ستكون حتماً علاقة محددة بمفاهيم فريزر . ولن يكون لها مستقبل . انها عارضة أزياء ، وابنة جون لاتيمر ، مما يعني احتقار هذا الرجل لها اكثر من احتقاره لغيرها من النساء .

سرت رعشة باردة في جسم كوري رغم دفء السنة اللهب . وغمرتها السعادة عندما نهض فريزر وابتعد عنها . ثم حدقت في الظلمة الداكنة منقبضة القلب ، يمزقها صراع عنيف .

كانت النجوم الساطعة تضيء السماء الصافية بوهج باهر ، ولامست وجنتيها نسمات الليل المنعشة ، وهي تصغي الى اللغط المتواصل حولها ، وفرقعة النيران وطقطقتها . وفجأة ارتفع في البعيد صوت اشبه ببوق عميق . هل هو صوت فيلة ؟ خيم الصمت على الجميع للحظات قليلة كأنهم تنبهوا الى وعورة الصحراء ووحشتها .

نهضت كوري ومشت مبتعدة عنهم عندما استأنفوا احاديثهم المتنوعة ، وتوجهت بحذر وبطء الى الخيمة المخصصة لها . وقع نظرها على أسّرة صغيرة داخل الخيمة . لم يكن باستطاعتها طلب خيمة خاصة بها وحدها ، اذ كانت ستثير الشكوك لو تقدمت

بطلب كهذا . ان فريزر وحده كقائد الرحلة يتمتع بهذا الامتياز .

لم يكن امامها الا طريقة واحدة لخلع وارتداء ملابسها . لا بد لها من معاينة عادات رفاقها وأوقات دخولهم وخروجهم . وقررت أن أفضل حل هو أن تأوي الى النوم قبل الآخرين بقليل .

كانت كوري لا تزال مستيقظة عندما تفرق الرجال باتجاه خيامهم . ظلت ساكنة تتنفس ببطء وانتظام . وعرفت ان بويد ومارك من الذين سيشاطرونها الخيمة . وسمعت بويد يعلق بمرارة :

ـ يحتاج هذا الحقير الى النوم باكراً ليحافظ على جمال وجهه .

ورد عليه مارك بحدة لم تعهدها من قبل :

ـ دعه وشأنه . ان فريزر لاحظ مضايقتك له .

ـ كان بامكانه اختيار شخص أقل حقارة .

وازدادت لهجة مارك حدة :

ـ ان لفريزر أسبابه الخاصة . بالله عليك ، لا تفسد كل شيء يا بويد . انها رحلة شاقة وطويلة ولا يمكننا تحمل خلافات كهذه .

وتمتم بويد :

ـ الويل لك ايها الأحمق .

وركل سريرها بغلاظة ، فحبست كوري أنفاسها . ثم أحست به يبتعد عنها .

أغمضت عينيها باحكام وهي تصغي الى احاديث الرجال ، وترامى الى مسامعها حفيف الثياب وارتطام الأحذية المخلوعة . وفكرت ان ما يمر بها الآن سيكون أغرب حدث في حياتها .

وامتلأت الخيمة ، بعد برهة قصيرة ، بشخير متواصل منتظم ، حال بينها وبين ملاك النوم رغم تعبها وانهاكها . استلقت في الظلام تسترجع احداث يومها المثيرة . . . مفارقة والدها ، وصولها الى ميوفونتين ، المواظبة على تمثيل دور الرجل ، التحليق بالطائرة الى الصحراء ومواجهة بويد المزعجة . استعادتها حادثة حادثة الى ان توقفت طويلاً عند صورة رجل طويل ، ضامر القوام اسمر الوجه ، صارم الملامح ، تدفعها جاذبيته الى كشف هويتها كامرأة متيمة .

بعد مرور ثلاثة ايام في الصحراء ، أحست كوري بارتياح وهدوء الأعصاب ، وكأن ايامها الأولى سحابة صيف عابرة . . . ثلاثة ايام قضتها تعيش وسط المخيم ، تلتقط الصور وتستمتع بعملها ، ثلاثة ايام في صحبة مجموعة من الرجال ، حيث توطدت صداقتها بمارك ، وتعلمت كيف تتفادى شراسة بويد ومراسه العنيد .

وحده فريزر يفقدها توازنها . هذه نقطة ضعف ثابتة . كانت تمنّت أن تعتاد على شخصيته الجذابة ، أما ما حدث فكان العكس تماماً ، بل ازدادت الأمور سوءاً . ظلت ردة فعلها ازاءه غريزية عفوية ، تبذل جهدها في كبتها ، والاحتفاظ بموقف حيادي عادي .

أما مسرحيتها الخادعة فصارت الآن مسألة طبيعية ، سهلة التنفيذ . وواظبت بعد الليلة الأولى على الايواء الى الفراش قبل الآخرين . وتظاهرت في الصباح بالاستيقاظ متأخرة ، لا ترتدي

ملابس عملها الا بعد مغادرة رفاقها الخيمة . أما الاغتسال فكان مشكلة حقيقية ، اذ لا تتوفر الحمامات هنا . ولكنها مشكلة استطاعت التغلب عليها . تعلمت استغلال الوقت وانتهاز الفرصة المناسبة . ولأنها هادئة الطباع ، محتشمة المسلك ، لم يعرها الآخرون اهتماماً .

لم يكونوا قد قطعوا مسافة طويلة حتى الآن . اختار فريزر مكان المخيم قرب كومة من الصخور تمت بصلة الى ابحاث الرحلة العلمية . لم تتصور كوري انها ستنكب على عملها بهذا الشغف . كانت دراسات والدها قد قادتها الى الالمام ببعض تفاصيل الجيولوجيا ، ووجدت نفسها وهي تلتقط صور نماذج صخرية تتوق شوقاً الى الاطلاع اكثر على اصولها وكيفية تركيبها .

انها تجد متعة غريبة في عملها ، حدثت كوري نفسها وهي ترقب رمال الصحراء الحمراء المتوهجة . ها هي تقوم بمهمة مختلفة ، لم يسبق لها القيام بها ، وتعيش في صحبة رجال ، لا علاقة لهم بمن عرفتهم في عالم الأزياء . انهم أشد جدية ومباشرة ، باطنهم كظاهرهم ، لا خداع ولا تكلف . كأن انعدام الاناث ، ومستلزمات الصحراء الصارمة ، ومتطلبات العمل مرآة سحرية تكشف طبيعتهم الأصيلة وشخصيتهم الفعلية ، طارحة جانباً كل زيف أو مظهر كاذب . انها من وراء قناعها تشاهد منظراً نادراً سقطت فيه كل الأقنعة التقليدية وأعراف المجتمع المقيدة .

انها تحيا لحظات مليئة بالمفاجآت السارة . كانت تتوقع صحراء قاحلة تعج بحر قاتل ورمال لا حد لها . ولا شك ان الحر متوفر ،

والرمال كذلك ، رمال حمراء كأنها تستمد لونها من لهب الشمس ، لكن الصحراء ليست مجرد رمال . كانت هناك اغوار مليئة بالماء ، تنمو على أطرافها شجيرات صغيرة الحجم ، ومساحات واسعة من النباتات القاسية ، العنيدة المتشبثة بالحياة في ارض تندر فيها الأمطار وموارد الطبيعة الخصبة .

وصلوا الى نهر يتماوج فيه القصب الطويل الغليظ . وارتعدت فرائص كوري عندما رأت أول تمساح ، أغبر اللون ، بشع المنظر ، يتمدد كأنه يغط في نوم عميق فوق ضفة الرمل الحارة . وعاجل مارك الى تهدئة روعها ، وتحذيرها من مغبة الاغتسال أو السير في مجرى الماء الموحل .

كانت السهول المحيطة بالنهر تعج بالحيوانات . وفي الليل ترامت الى مسامع كوري أصوات بعض الفيلة ، لكنها لم تدرك مدى اعدادها الكبيرة ، وفاتها ان الغابة المجاورة تزدحم بالنمور والأسود التي تتغذى بما تصطاده من الظباء والحمير الوحشية عندما ترد النهر لاطفاء عطشها .

حتى الآن لم تعثر على اثر للحياة البشرية في هذه البقاع ، مع ان والدها حدثها مراراً عن وجود بعض الجماعات ذوي القامة الضئيلة واللون الضارب الى الصفرة ، جماعات تتمتع بقدرة عجيبة على العيش في قلب هذه الأرض القاسية المعادية . كما ان كوري لم يقع نظرها حتى الآن على رسوم صخرية ، وهي اساس أبحاث والدها . لكنها بعد مضي ثلاثة ايام فقط اصبحت تفهم ولعه بهذه الأرض الشاسعة ذات الشمس الحارقة ، والحياة الخشنة .

سرت في شرايينها موجة من الحر اللاذع ، وهي تجلس في سيارة الجيب التي أخذت تشق طريقها الى الأمام ، دون أن تعرف وجهتها المحددة . كانت المشاهد الصحراوية حولها تستقطب اهتمامها ، فلم تتنبه كثيراً الى اي ازعاج او مشقة . وبينما هي غارقة في افكارها ، توقفت سيارة الجيب فجأة ، وسمعت كوري عويلاً حاداً أليماً . نظرت الى السائق مرتاعة ، ثم قفزت من العربة لتلتحق بالرجال الذين تجمعوا على حافة الطريق .

رأت صبياً صغيراً جاثياً في الغبار ، يتمدد امامه كبش ماعز هامد الجثة . وأدركت ما جرى . كان الصبي يسوق قطيعاً من الماعز ، عندما اندفع الكبش نحو منتصف الطريق ، فدهسته العربة الأمامية وقضت عليه .

راح بويد ، سائق السيارة ، يؤنب الصبي ، ويوبخه على اهماله وطيشه ، فأجهش بالبكاء وهو يسمع هذه اللهجة القاسية . وهنا تدخل فريزر ، دافعاً بويد جانباً ، ومتولياً زمام الأمور . انحنى أرضاً ومر بيده فوق جثة الكبش ، ثم أشار لأحد الرجال بجره الى حافة الدرب ، وركز اهتمامه على الولد .

طغى على الصبي حزن عارم ، وكان عويله الذي اخترق اذني كوري حاداً يشق الفضاء . وعمد الى لطم رأسه بالأرض مرتين ، وبقوة مؤلمة .

وقف الرجال حائرين ، مكتوفي الأيدي . وتكلم فريزر الى الصبي . حاول مخاطبته بالانكليزية ولغة افريقيا الجنوبية ، وبلهجتين عاميتين ، لكن كلماته ذهبت سدى ، واسترسل الصبي

في عويله .

صاح بويد يتوقد غيظاً :

ـ انه يحاول استدرار الشفقة ، والحصول على حفنة من الدراهم .

استدارت كوري نحوه وقد استبدت بها غريزتها :

ـ هل انت عديم الاحساس الى هذا الحد ؟

ورد بضراوته المعتادة :

ـ هذه مسألة لا تعنيك أيها المغفل .

وبادر فريزر بالقول :

ـ انه مجرد حادث ليس الا .

ورأته كوري يمد يده الى جيبه ، ويمسك بكف الصبي ويعطيه بعض الأوراق النقدية .

رفع الصبي الصغير وجهه الذي يكسوه الوحل والغبار ، وحدج النقود برهة ، ثم راح يعول مجدداً . قال فريزر بأسى :

ـ انا آسف لهذا الحادث . ولكني أعطيته اكثر مما يحتاج لشراء كبش آخر .

وازداد بويد شراسة :

ـ الأفضل أن تتجاهله دعه يعول الى ان تجف دموعه .

ودفع فريزر بورقة نقدية أخرى الى يد الصبي معلقاً :

ـ لا بد من استئناف الرحلة ، ليرجع كل منكم الى عربته .

ـ كلا (صرخت كوري محتجة ، مستهجنة) لا يمكننا ترك الولد في هذا الوضع .

ووجدت نفسها ، وبدون انعام النظر ، تنحني لتضم الصبي الى صدرها غير عابئة بالأوساخ تلطخ ثيابها ، ولا بتأثير تصرفها على رفاقها . لم تفكر الا بذلك الولد البائس ، وحاجته الى العطف والطمأنينة . أخذت تهدىء من روعه ، وتهمس في اذنه كلمات الحنان والشفقة . ولا يهم انه لا يفهم معنى كلماتها ، فهو سيفقه نيتها واهتمامها به .

وما لبث الولد ان سكن روعه ، وتوقف عن البكاء والعويل . انه مجرد طفل ، فكرت كوري ، طفل صدمته خسارة أعز ما لديه ، ولا شك ان الدراهم تمكنه من شراء كبش آخر ، لكن الوقت وحده والحب يشفيان الجرح الذي فتحه الموت المفاجىء في قلب ولد صغير .

اعتقدت كوري انها قامت بواجبها نيابة عن الجميع ، فليتوجهوا الآن الى السيارات لمتابعة الرحلة .

رفعت بصرها . كان الصمت يخيم على الجميع . صمت غريب ، أليم ، مترقب . جالت بنظرها من وجه لوجه ، فانتابها اضطراب شديد . كان الرجال يحدجونها بتمعن ، وعلت وجوههم امارات الحذر والتساؤل ، وعلى نحو مباغت . زم بويد شفتيه بخبث مخيف ، وبدا مارك عصبي المزاج . اما ملامح فريزر فكانت كالحة قاتمة . كان وجه فريزر يثير فيها الرعب اكثر من أي شيء آخر .

وقفت على قدميها ، متلعثمة ، تحاول اخفاء اضطرابها :

ـ يمكننا الذهاب الآن .

لم يجبها أحد . ولم تبدر أية اشارة من أحد . أصيب رأسها بالدوار وكررت كلماتها بلهجة أقل اقناعاً :

ـ يمكننا الذهاب الآن .

رنّ صوت فريزر في اذنيها :

ـ بعد قليل . تعال معي ـ

نظرت كوري الى مارك نظرة استجداء . لم ينبس ببنت شفة . وخالته يهز برأسه مبدياً أسفه ، وعجزه عن مساعدتها .

لم يكن امامها خيار سوى السير وراء فريزر . وشعرت فجأة بالرعب الشديد . ومع ذلك صممت على كبت مشاعر الخوف امام المجموعة . مشت وراء فريزر برأس مرفوع . كانت كل الأنظار مركزة عليها ، وهي تخطو خطواتها الوئيدة ، المرهقة .

جلست بجانبه في سيارة الجيب . واستعدت كوري للمعركة الحاسمة ، تتجاذبها مشاعر خفية ، غامضة تجاه فريزر ، وكل ما يمثله من قوة ورجولة وجاذبية .

وأخيراً فتح فاه قائلاً بتمهل مقصود :

ـ نعم يا سيد كولن لارسن !

وتمتمت كوري :

ـ نعم يا سيد ملوري !

وخرج صوته رقيقاً ، ناعماً ، ومغلفاً بالخطر :

ـ اعتقد ان عليك ايضاح موقفك .

وسألته بخفة ، وكأنها أحست باقتراب ساعة الانفجار :

ـ تقصد تعويقي للرحلة ؟ لم يكن في اليد حيلة ، والولد في تلك

الحالة السيئة .

وهز برأسه :

ـ حسناً .

ـ لم نتأخر كثيراً (ردت متلعثمة) وعز عليّ التخلي عن الصبي يعتصره الألم .

ـ ليس هذا هو الموضوع الرئيسي ، وانت تعرف في أي مكان هنا . . .

وعاد يسألها مشدداً على الاسم الأول :

ـ هيا يا كولن . . . هل ستخبرني الحقيقة أم تضطرني لانتزاعها منك بالقوة ؟

رأت في عينيه قساوة مدمرة تخمد الأنفاس ، فقالت متوسلة :

ـ انك تسيء الفهم .

ورد بفم ممتعض :

ـ اسيء الفهم ؟ لنتحقق من ذلك . . .

ومد يده الى وجهها ، ونزع الشاربين بحركة سريعة .

لمست كوري شفتها العليا بأنامل مرتجفة ، شاعرة بانهيار حصنها المنيع . . حاولت أن تتكلم فخانتها قواها .

وازداد فريزر غيظاً :

ـ والآن الى القناع الآخر . هل تنزع النظارات أم أنزعها انا ؟

وجدت نفسها تتضرع قائلة :

ـ سأنزعها . سأنزعها .

وها هي الآن تبدو على حقيقتها ، تلتهمها عينا فريزر بوقاحة ،

وانتقام . وسمعته يبدي اعجابه :

ـ يا للجمال ، يا للجمال ، ما هذه الأفكار الجهنمية يا كولن ؟ (وبلع ريقه) ، ولكنك لست كولن طبعاً . ما هو الاسم الحقيقي . . . كارلا ؟

٤ ـ بعد أن انفضحت اللعبة ، أحست كوري ان عليها الفرار من هذا المكان . ولكن فريزر قال لها : « فات أوان العودة الآن . لقد توغلنا كثيراً في الصحراء . »

www.elromancia.com

وقالت بصوت هامس :

ـ اسمي كوري .

ـ اسم عائلتك ؟ اريد اسم العائلة .

واستطاعت لفظ اسم العائلة بشق النفس :

ـ لاتيمر.

جحظت عيناه . خالته متوتر الأعصاب ، كأن صدمة عنيفة اصابته ثم علت وجهه ابتسامة هادئة . وأعلن بصرامة :

ـ ابنة جون لاتيمر . والدك خطط كل ذلك . يا للغرابة ، اذكر انه شيطان خبيث ، ولكن لم أتوقع خدعة كهذه .

وانفجرت كوري :

ـ لا . والدي لا علاقة له .

ورد فريزر باشمئزاز :

ـ اذن ما هذه المسرحية ؟ . . . أليست خدعة ؟

اعترفت كوري :

ـ نعم انها خدعة . ولكنك تظلم والدي بدون مبرر .

ـ انا . . . أظلمه ؟

ـ نعم (أكدت له كوري) انها خطتي وحدي ، ولا علاقة لأي شخص بها .

ـ ان والدك يريد الحصول على صور الحيوانات الصخرية . . . تلك الحيوانات اللعينة التي لم يتأكد من وجودها حتى الآن .

كان فريزر ثاقب البصيرة ، متقد الذكاء . وأدرك في ثوانٍ معدودة هدفها من انضمامها الى الرحلة . ولم تجد كوري مهرباً من الموافقة على رأيه . فصاح بها :

ـ اذن لماذا لم يأت هو بنفسه ؟

عضت كوري على شفتيها مستجمعة شجاعتها :

ـ لأنك كنت سترفضه وتخيّب آماله ، أليس كذلك ؟

وأجاب متملصاً من ابداء رأي قاطع :

ـ ليست المسألة بهذه البساطة . كان باستطاعته اخباري .

استردت كامل ثقتها وهي تؤكد له :

ـ كلا . ان والدي معتل الصحة ، ولم يعد قادراً على تحمل حياة الصحراء .

لم تثر كلماتها أي تعاطف مع وضعها ، بل ازداد فريزر ملوري حدة :

ـ اذن قرر ان تحلّي محله .

ـ لا . قلت لك ان القرار قراري أنا .

ـ قرارك الذي وافق عليه بحرارة .

وتشبثت كوري برأيها :

ـ على العكس من ذلك ، ان والدي لم يعرف شيئاً عن الموضوع .

خيمت لحظة من الصمت . كان فريزر يدرس وجهها بتململ وتساؤل ، وخالت كوري ان هذا الرجل العنيد يمسك مصيرها بين يديه ، وقرأت في ملامحه علامات الشك والارتياب في كل كلمة تفوهت بها . وسمعته يقول :

ـ انك نادراً ما تلتقين بوالدك ، ولذلك يمكنك الاختفاء من دون أن يدري أين انت .

تلقّت كوري الطعنة بأنف شامخ :

ـ كنت اعرف انك رجل متحجر القلب ، متغطرس ، عديم الرحمة ، لكن فاتني انك ايضاً رجل خسيس وضيع .

وزم شفتيه :

ـ خسيس ؟

ـ ما معنى هذا الغمز واللمز اذن ؟ ان علاقتي بوالدي علاقة وثيقة ، وكلها حب وحنان . والدي يعتقد انني اقضي اجازتي السنوية ولا يتوقع عودتي قبل بضعة اسابيع .

ـ ألم يخامره الشك حول نواياك الحقيقية ؟

ذكّرها السؤال بآخر لقاء لها مع اريك ، وكل التعاسة التي تخللته . أحست بانقباض ، فابتعدت عن فريزر قائلة :

ـ والدي فهم حاجتي الى قضاءبعض الوقت وحيدة .

وتمنت في اعماق نفسها لو يخلي فريزر سبيلها ، ويدعها وشأنها . لو يتوقف عن استجوابها وينهي عذابها وقلقها ، وهي تحس بتلك القوة الخفية التي ما زالت تشدها اليه .

لم تلمح اليد التي امتدت صوبها . طوق عنقها بأصابعه الطويلة ، فكاد وجهها يصطدم بوجهه وهو يجبرها على النظر اليه . خفق قلبها في قفص صدرها كعصفور وجل . وخاطبها بلهجة هادئة مختلفة :

ـ بذلت جهوداً كبيرة للانضمام الى هذه الرحلة ، هل تعني لك الشيء الكثير ؟

حاولت التملص من قبضته دون جدوى . احست بوخز غريب في وجنتيها وعنقها . وظل يراقبها بدقة . ترى هل يدري مدى تأثير شخصيته عليها ؟ نعم ، انه يعرف كل شيء ، وهو يجد متعة في ذلك . كان حلقها جافاً ، فوجدت صعوبة قصوى وهي تتابع الحديث :

ـ هل لك معرفة بأبحاث والدي العلمية ؟ لقد وضع كتاباً حول شعوب افريقيا القديمة ، وهو يتوق للحصول على صور الرسوم الصخرية منذ فترة طويلة .

سحب فريزر يده :

ـ ان لديه صوراً اخرى .

أقرّت بهدوء :

ـ هذا صحيح . ولكنه يريد هذه الصور مهما كلّف الأمر .

اجاب فريزر بصوت يخالطه الغضب والاعجاب الدفين :

ـ يا له من كهل عنيد .

وظنت ان التفاهم معه بات محتملاً :

ـ هكذا تفضل أن تراه . ظل والدي يحلم بالرسوم سنوات وسنوات . وهو يعرف انها هناك . يؤمن انها موجودة . ولو كان أصلب عوداً لخرج الى الصحراء منذ زمن طويل . ولكن ليس في الأمر حيلة ولهذا السبب قمت بالمهمة نيابة عنه . لو كان لديك حلم يا فريزر ، ألا . . .

ولم تكمل عبارتها ، مدركة ان عواطفها استبدت بها . لاحت في ذهنها صورة عجوز خائر القوى ، يستمر على قيد الحياة لتحقيق حلم واحد . والى جانبها رجل شاب بلحمه ودمه افترضت انه سيقدر معنى هذا الحلم ، ولكنه خيب املها . لم تحركه كلماتها المتوقدة عاطفة ، بل أن بريق عينيه يروي لها قصة اخرى . ان الموقف يزداد سوءاً مع كل كلمة تنطق بها .

قالت وهي تنفجر غيظاً :

ـ انت لا تفقه شيئاً . او انك تتظاهر بالغباء .

ومضت عيناه ، وطاف شبح ابتسامة فوق شفتيه :

ـ انا افهمك تماماً . ولكن اعتقد ان والدك سيكون في وضع أفضل لو رزقه الله ابناً عوض هذه الابنة .

فتطاير الشرر من عينيها :

ـ اذن والدي على حق . انت تحتقر النساء ، انك تكرهنا .

ضحك قائلاً :

ـ اكرههن ؟!! انا لا اكره النساء يا عزيزتي . انني اتمتع بصحبتهن كثيراً في بعض الأحيان . (ونظر نظرة ذات مغزى) اما من حيث احتقارهن ، اكتفي بالقول اني حتى الان لم اجد امرأة تحوز على احترامي .

حدقت فيه كوري لحظة صامتة ، اجتاحتها رغبة عارمة لاثبات مدى خطأه . قالت بصوت مرتفع :

ـ واضح ، اذن ، انك كنت سترفضني لو عرفت انني امرأة .

ورد ببرودة تامة :

ـ طبعاً . ولهذا السبب انتحلت شخصية رجل .

تنهدت بعمق . انه رجل صعب المراس . يرد على كل تهمة ، ومهما كانت محقة . باعتداد وهدوء ، حاولت ثانية :

ـ انت تعتبر النساء ناقصات العقول .

ـ انا لم أقل ذلك .

سمعته يكبت ضحكة خافتة . ان جوابه واضح ، لا يحتاج الى تفسير . فرغت جعبتها من العبارات الملائمة . لم تعد تفكر الا في الابتعاد عنه والانضمام الى الآخرين .

همّت بفتح باب السيارة ، لكنه سارع الى جذبها نحوه ، وشعرت بيديه الكبيرتين تطوفان فوقها وكاد يسحقها بجسمه الثقيل . راحت تقاومه بكل ما تملك من قوة . لا لن تدعه يعبث

بها مهما بلغ اعجابها به . انه يحاول اذلالها وتحطيم كبريائها ، فلتدافع عن نفسها ، وتلقنه درساً لن ينساه .

وأخيراً اطلق سراحها ، ودفعها بعيداً عنه بحركة مفاجئة ، فرفعت يدها ولطمته على وجهه بعنف . جاءت صفعتها تعبيراً عن حنقها لاسلوبه في معاملتها ، وانتقاماً من نفسها لاعجابها به في المقام الأول . وقال يؤنبها :

ـ اياك أن ترتكبي هذه الحماقة مرة ثانية .

وصرخت في وجهه :

ـ كيف تسوغ لك نفسك اهانتي ؟ يا للجسارة !

وهددها :

ـ ان جسارتي تسوغ لي كل شيء ، واياك أن تنسي ذلك . والآن تعرفين دور النساء الوحيد في حياتي .

أحست كوري بالغثيان في داخلها . ولكن ماذا تفعل في هذه اللحظة ؟ عليها الفرار من هذا المكان ، بعيداً عن هذا الرجل الذي لا يعرف حداً للاذلال والاهانة . لم تعد تفكر في الرحلة ، أو الرسوم الصخرية ، ولا بأحلام والدها ، كل ما تتمناه هو الفرار ، وانقاذ نفسها . وتمكنت بعد لحظات من التفوه بسؤالها :

ـ هل تدلني على طريق العودة ؟

اجابها بلهجة جافة :

ـ فات أوان العودة الآن .

حملقت في وجهه ، وهي تدرك معنى كلماته :

ـ فات الأوان ؟ ولكن . . . أعني . . . انك ستدعني امضي في

سبيلي الآن .

فابتسم بخبث :

ـ يستحيل علي ذلك . لقد توغلنا كثيراً في الصحراء . ولو كان هناك مهبط طائرات قريب من هنا لوضعتك في أول طائرة .

استفسرت بصوت مضطرب :

ـ تعني المهبط الذي حطت فيه الطائرة التي أقلتنا الى هنا ؟

فنظر اليها باشمئزاز :

ـ ابتعدنا كثيراً عن تلك البقعة . اننا نحسب مسافة كل يوم نقطعها ، ولكن لا اتوقع منك ادراك كل هذا ، علينا القيام بامور عديدة استعداداً لتقلبات الطقس يا كوري . ولن اسمح لنزوات امرأة طائشة بافساد برنامجي .

سألته والغصة تعض حلقها :

ـ تعني . . . تعني انك تريدني ان استمر في عملي ؟

التوت شفتاه تأففاً :

ـ اريدك ! انا لا اريد وجودك البتة . ولكن لم يعد امامي خيار .

كان الاحتقار يفوح من ملامحه . . . احتقار الغرور والاعتداد بالنفس . . لم يكن فريزر ملوري راضياً عن الوضع اكثر من كوري ، ولكنه وجدها فرصة سانحة للتمتع بمنظر امرأة تخضع لظرف قاهر غصباً عنها . وكرهته كوري في تلك اللحظة كما لم تكره أحداً من قبل .

خاطبته بصوت منخفض :

ـ لن اذهب معك . افضل ان أعود ادراجي . ان مهبط

الطائرات لا يبعد كثيراً .

فرفع حاجبيه باستهزاء :

ـ تعودين بدون ماء الشرب ؟ لا تتوقعي ان نمنّ عليك بقطرة ماء واحدة يا عزيزتي . مع ذلك ، أنت حرة . اذا كنت تريدين العودة سيراً على الأقدام ، فعلى الرحب والسعة .

أدركت كوري انها لن تستطيع السير اكثر من ساعات قليلة في هذه الأرض الحارة الجافة ، وستخور قواها ، وستصبح فريسة سهلة للحيوانات الشرسة . وسألته بكآبة :

ـ اذا وافقت على البقاء هل تضمن لي استمراري في عملي ؟

قال بلهجة جازمة :

ـ اضمن لك ذلك . استأجرتك كمصورة ، وهذا ما ستقومين به . لا مانع لديّ شخصياً ، ولكن الآخرين سينظرون اليك نظرة مختلفة الآن .

قالت كوري بثقة غير مقنعة :

ـ استطيع تدبر أمري ، ولا أعتقد انني سأتعرض للأذى وسط مجموعة من العلماء ذوي اخلاق عالية .

سألها بخفة :

ـ وماذا عن بويد ؟

ـ انه فظ وجلف ولا يرتاح الى وجودي . وعلى الأقل هذه كانت مشاعره عندما ظن انني مجرد ولد .

ـ وتظنين ان مسلكه سيتغير بعد أن يعرف انك فتاة ؟

اجابت كوري بحزم :

ـ طبعاً . كان عداؤه نتيجة عدم تمتعي برجولة كافية ، وسيبتهج الآن بصواب رأيه .

قال فريزر ملوري بنعومة :

ـ لا اظن انك ساذجة الى هذا الحد . انصحك بالاحتراس من بويد .

سألته كوري بوقاحة :

ـ تعني انك تقلق علي ؟

ونظر اليها بعينين جامدتين كالجليد :

ـ على العكس ، انت تتحملين مسؤولية اعمالك . انا لا يهمني الا راحة رجالي ، ولا اسمح عادة للنساء بالانضمام الى رحلات كهذه . (وتابع مشدداً على كل كلمة) ، ان معاملتنا لك ستظل كما كانت ، فلا تحسبي ان انوثتك تؤهلك لامتيازات خاصة .

ـ انا لم أتوقع امتيازات خاصة .

قررت كوري انها حلت كل الاشكالات ، وبدأت بفتح الباب ، فسمعته يحذرها مرة اخرى :

ـ دعي رجالي وشأنهم ! ان اية مشكلة تثيرينها باسلوب النساء المعروف ، ستضطرني لجلدك جلداً موجعاً .

وبعينين يتطاير منهما الشرر ردت كوري :

ـ انك ستجد متعة في جلدي ، تماماً كما استمتعت بابراز عضلاتك امامي ، اليس كذلك ؟

ووافق بهدوء :

ـ بالضبط . يسعدني اننا نفهم بعضنا الآن .

ساد المخيم جو جديد تلك الليلة . لاحظت كوري هذا الاختلاف منذ أن ترجلت من سيارة الجيب بعد حديثها الطويل مع فريزر . تبدلت نظراتهم ، وتغيرت اصواتهم . فكرت كوري ان الرجال اصيبوا بصدمة مفاجئة وهم يكتشفون هويتها على هذا النحو .

اعتقدت ان الأمور ستعود الى مجراها الطبيعي بعد مرور ساعات قليلة . ما ان تغيب الشمس ويباشرون بشيّ اللحوم فوق ألسنة اللهب حتى تكون قصتها الغريبة في خبر كان .

كم كانت مخطئة ، ازدادت قصتها مع مرور الوقت غرابة وحدة . ظل الرجال يتصرفون ظاهرياً باسلوب متزن وودي ، لكن لم يفتها التحفظ وبعض التكتم ، بعد أن كانوا يطلقون العنان لألسنتهم ، ويتندرون بشتى النكت البذيئة لا يقيّدهم وجود انثى تعكر صفو احاديثهم .

لم تعد تبدر عن أي واحد منهم كلمة نابية أو اشارة جارحة . حملوا اليها طعامها ، وكل ما تحتاج اليه لتناول وجبتها ، ثم تركوها بمفردها وكأنها لا تنتمي الى عالمهم .

انها سحابة صيف عابرة ، خاطبت نفسها . ما زالوا يعانون من الصدمة ، ويصعب عليهم التكيف معها . ولا بد لهم ان يتجاوزوا ردة فعلهم الأولى ، ويصبح وجودها مسألة طبيعية . كم ستكون حياتها حرجة وموحشة اذا رفض الرجال قبولها كواحد منهم ؟ تمنت ان يكون صباح الغد التالي عادياً ، وتمر الأزمة بسلامة . لكنها

كانت بالغة التفاؤل .

وحده فريزر ملوري ظل كما هو ، وكأن شيئاً لم يكن . ظل يخاطبها بلهجته المعتادة ، مثبتاً لها ان آراءه وتصرفاته لا تؤثر فيها أنثى خبيثة .

انها في ورطة حقيقية . امرأة وحيدة وسط مجموعة من الرجال في صحراء نائية . التحقت كوري بالرحلة للابتعاد عن تعقيدات العلاقات العاطفية . ولا ترغب في تقييد حياتها ثانية . ان فريزر ملوري لا يدرك مدى تصميمها على التمسك بحريتها . وحتى مارك مع اعجابها به ، لن تتعجل في التورط معه .

وارتسمت صورة فريزر في مخيلتها ، بوجهه الأسمر وملامحه الخشنة ، وبكل سطوته وقوة رجولته . وفجأة سرت في جسمها قشعريرة غريبة ، فكادت تنفجر غيظاً ، وازدادت التصاقاً بموقد النار .

ـ هل تشعرين بالبرد ؟

استدارت كوري ، وصوت مارك يرن في اذنيها . ابتسمت :

ـ قليلاً .

ـ يجب أن تلتفّي بسترة الصوف .

ـ اعرف . سأمضي وأجلبها .

ـ لا حاجة لذلك . خذي سترتي .

وقبل أن تبدي اي اعتراض ، كان مارك يلف كتفيها بسترة صوفية سميكة . قالت محتجة :

ـ لا تتعب نفسك . من السهل علي جلب سترتي من الخيمة .

ورد بصوت بالغ العذوبة :

ـ اريدك ان ترتديها .

فكرت كوري قليلاً . قررت عدم المضي في الاعتراض . ان مارك صديقها الوحيد في المخيم ، لم تشأ جرح مشاعره . فقالت ممازحة :

ـ هل كنت تعرض عليّ سترتك ليلة امس ؟

سمعته يشرح بصوت مداعب :

ـ ليلة امس كنت كولن . كنت فتى لطيفاً ، ولكن هذا كل شيء . (وتابع بجدية) ، هل صحيح ما قاله لنا فريزر يا كوري ؟ انك أتيت للحصول على بعض الصور لوالدك ؟

ـ نعم . هل تدينني من اجل ذلك ؟

واجاب بصوت أجش :

ـ أدينك ؟ لا يمكنني ادانتك لأي سبب . (وانحنى يحضن يدها بين كفيه) اعتقد انك أشجع فتاة عرفتها ، وأشدهن جمالاً .

كان عمل كوري قد أتاح لها الاحتكاك بعدد من الرجال ذوي المسلك الراقي والمظهر الأنيق . ولم يكن أريك أول رجل صادقته ، ولكنه صدف ان حاز على اهتمامها اكثر من الآخرين . وطالما تغزل بها الرجال ، وتغنوا بجمالها . ومع ذلك وجدت هذه الكلمات البسيطة التي نطق بها عالم في قلب صحراء افريقية ، أعذب وأرق ما سمعته .

وبصوت رقيق دافىء قالت :

ـ لماذا يا مارك ؟ ما أعذب كلماتك .

ـ وما هي الكلمات المعسولة التي يهمس بها صاحبنا مارك في اذن سيدة ؟

لم يشعرا ببويد وهو يقترب منهما . أحست كوري باشمئزاز وهو ينحني مقرفصاً بجانبها . وخاطبته محاولة تجاهل عبارته :

ـ مرحباً يا بويد . كنت ومارك نتبادل اطراف الحديث .

وقال بلهجة مبطنة :

ـ اعرف . وأحاديث حميمة على ما يبدو . ما رأيك بنزهة قصيرة يا ملاكي ؟

احست كوري بمارك يحبس انفاسه ترقباً . فقالت بتمهل :

ـ لا ، شكراً . قاتل الله الكسل .

وازداد بويد وقاحة :

ـ يا للكسل ! لا بأس ، يمكننا التوجه الى الخيمة .

وصاح مارك بحدة وغضب :

ـ اخرس يا بويد ، كيف تجرؤ على مخاطبة كوري بهذه اللهجة ؟

قهقه بويد بفظاظة :

ـ لا تحتد كثيراً يا عزيزي ! ان كوري فتاة ناضجة ، وتعرف كيف تتصرف . ما رأيك ياملاكي الطاهر ؟

اذن لم يطرأ أي تغيير على بويد ، فكرت كوري . لم تصدق فريزر عندما حذّرها منه . وارادت ان تكلمه ، وتشرح له عدم رغبتها في التورط معه ، ولكن مارك سبقها بقوله :

ـ لن اسمح لك بمخاطبة امرأة محترمة بهذا الاسلوب .

وضحك بويد :

ـ امرأة محترمة ؟ ما هذا الهراء يا مارك ؟ انها امرأة لعوب تحب ان يشاطرها الرجال خيمتها .

فقد مارك اعصابه :

ـ اني احذرك . دعها وشأنها .

ـ وماذا ستفعل اذا عصيت أوامرك ؟

وضعت كوري يدها على ذراع مارك تتوسل اليه ليخفف حدة غضبه ، وقد خافت عليه من بويد وقبضته الحديدية .

وأنقذ الموقف صوت فريزر وهو يصيح :

ـ كوري ، بيتر اعد لك طبقاً شهياً. هيا الى هنا .

رفعت بصرها ونظرت اليه . لم تلمح تعابيره في الظلام الدامس ، ولكنها تبينت شموخ رأسه المتغطرس ، وقررت كوري ان فريزر تعمد التدخل في هذه اللحظة . ويجب عليها وضع حد لهذه العجرفة ، فأجابت :

ـ اشكر بيتر عني . لست جائعة الآن .

هز فريزر رأسه علامة السخرية ، ثم خاطب بويد :

ـ هل تسمح بكلمة معك على حدة ؟

رد بويد بشراسة :

ـ هل تحاول فض المشكلة ؟

ـ لا ابداً . اريد مناقشة بعض الشؤون المتعلقة ببحثنا العلمي (وتابع مؤكداً سلطته) ، بويد . . . اريد ان اراك .

وهرول بويد وراءه ، لا يلوي على شيء .

اعتذر مارك لكوري من فظاظة بويد ، فطمأنته :

ـ لا تهتم . استطيع تدبر أمري .

وتوجها الى المخيم حيث تحلق الآخرون ينشدون اغنية مسلية .

٥ـ حدقت في الظلام الدامس قلقة. لم يكن يتبادر الي ذهنها انها معرّضة لأي خطر حقيقي عندما رنت كلماته في اذنيها ثقيلة، مخيفة: «الى أين تذهبين؟»

عندما انضم مارك وكوري الى المجموعة، كان أحد الرجال يعزف القيثارة، مداعباً أوتارها بتأنّ. ابدى الرجال ترحيبهم بكوري متهللي الأسارير، مخلين لها أقرب بقعة من كومة الجمر المتوهجة. ولاحظت انهم كانوا يناقشون امراً ما، وتوقفوا عن الكلام فجأة مع وصولها، لكنها لم تمتعض. وبدا عليها الارتياح وهي تلمس وجود جو طبيعي، لا توتّر فيه.

بدأ لاعب القيثارة بعزف لحن عادي، وانطلق الرجال يغنون أغاني بسيطة، طالما سمعتها كوري حول مواقد النار، وفي العشايا. غمرتها موجة من السعادة وهي تصغي الى الأصوات المتناغمة. انها

www.elromancia.com

تحب طريقة العيش هذه، بعيداً عن جلبة المدينة، والأجواء المزيفة التي عملت فيها.

بدت الحياة في المخيم الصغير، على اطراف صحراء كلهاري الشاسعة، أصيلة ذات جوهر واضح. ما أروع منظر النار الدافئة، وما أشهى نكهة اللحم المشوي وعبق الفحم المتوهج، ويا لروعة الفضاء يتلألأ بالنجوم اللامعة. ثم تلك المصابيح الخافتة تتوزع هنا وهناك، مرسلة نوراً يضيء جنبات المخيم. وتمتد بعد ذلك ستائر الظلام، يغلفها سر غامض، فتلفّ أقاصي الصحراء النائية.

ان لنار المخيم سحراً عجيباً، يدب في قلوب الرجال وعقولهم، يأسرهم ويولد فيهم حنيناً لا ينطفىء. فكرت كوري في والدها يجلس وحيداً مع كتبه وأوراقه في ذلك المنزل الصغير فوق منعطف الجبل، فاجتاحها حزن كئيب.

جلس مارك بقربها. ان وجوده قربها يريحها ويدخل الطمأنينة الى قلبها. تمتّنت بينهما أواصر الصداقة عندما كانت لا تزال كولن، ولم تتبدل صداقتهما بعد أن اصبحت كوري. لم يشعر بالاهانة لتستّرها وراء قناع خادع. انه صديق مخلص، يعتمد عليه. تأكد لها وهي تراقب وجهه الذي تضيئه النار انه اقرب شخص الى نفسها من بين المجموعة كلها.

ثم عاودتها الشكوك. وما هي مشاعرها ازاء فريزر؟ انها لا تنكر اعجابها به في البداية، أما الآن فتغير الوضع. انه يتمتع بشخصية فاتنة، ولكنه متعجرف وعديم الرحمة. لا، ان فريزر ملوري لا

يجوز على اعجابها بعد تجربتها المريرة معه.

تنبهت الى نسيم الليل البارد يغزو مسامها، فادركت ان ساعة النوم قد اقتربت.

فكرت في مشكلاتها العملية الراهنة. استطاعت حتى الآن تدبر أمرها وهي تشاطر الخيمة مع ثلاثة رجال. ولكن الوضع يختلف في هذه اللحظة. كيف سيتصرفون بعد ان اكتشفوا هويتها الحقيقية؟ خالت مارك يغرق في حيرة مماثلة. وهناك بويد وبيتر، شريكها الرابع في الخيمة. ماذا يدور في مخيلة كل منهما؟

وما ان نهضت تريد الانسحاب الى الخيمة، حتى سرت الهمهمات بين الرجال يبدون تمنّياتهم لها بقضاء ليلة سعيدة والتمتع بنوم هنيء.

لم يتبادر الى ذهنها انها معرضة لأي خطر كبير. لن يجرؤ احد على لمسها، حتى بويد نفسه. وأخيراً خاطبت مارك:

- اعتقد انه حان وقت النوم.

وبدا مارك متوتر الأعصاب، وسمعته يردد اسمها:

- كوري... كوري.

حبست انفاسها تحسباً لأمر طارىء:

- نعم؟

- لا شيء البتة.. لا شيء.

واضطرب صوتها:

- مارك... ما بالك؟ لم يتغير شيء.

وتلعثم:

- كوري . . .

قاطعته بسرعة:

- من فضلك يا مارك دعني اوضح موقفي. بالنسبة الي، كنت اعرف طوال الوقت انني امرأة، وانكم رجال، واستطعت تدبّر أمري. ولم أتعرض للاهانة او لصدمة. (وخانتها الكلمات فاكتفت بالقول) اعترف انه وضع غير طبيعي.

وعلق مارك بجفاف:

- وبأقل تعديل.

خالت ان مارك يتحول ضدها، وهذا يعني وقوفها وحيدة. لا بد لها من اكتسابه الى جانبها. وقالت بعد لحظات مشحونة بالتوتر:

- ما أحاول قوله هو ان الأمور ما زالت كما هي. قضينا معاً ثلاث ليال، ولم يعبأ بي أحد لأن هويتي كانت سرية. ولا أجد اي سبب للتصرف بشكل مختلف. أنا لست كولن، ولكن لم أزل أنا نفسي الشخص عينه الذي شارك الخيمة معكم سابقاً.

واستطرد مارك بلهجته الجافة:

- تريدين منا ان ننظر اليك وكأنك كولن وليس كوري.

- اريدك ان تحافظ على موقفك مني.

ومر مارك بأصابعه فوق وجنتها:

- انا أفهم ما تعنين. ولكن لا أخالك تفهمين نفسك يا كوري.

- أنا أفهم نفسي تماماً.

قاطعها:

- انا رجل. وكذلك بويد وبيتر. وانت امرأة، امرأة جميلة

للغاية، ولا يمكن لك تجاهل مشاعرنا عندما ننام واياك تحت سقف واحد.

وقالت متمهلة:

- اعترف انني كنت غبية.

فداعب وجنتها قائلاً:

- غبية؟ قلت لك من قبل انك شجاعة.

- كان عليّ التصرف بطريقة مختلفة.

اجاب بهدوء:

- هذا صحيح. ولكنك لم تفعلي. أؤكد لك ان ضغط دمي الليلي سيرتفع كثيراً.

تأوهت بأسى:

- ما هذا الهراء يا مارك؟ انك ستظل صديقي الوفي.

وارتسمت ملامح الاستغراب على محيّاه:

- صديقك؟ انت في وادٍ وأنا في وادٍ يا كوري. مع ذلك، اعدك بأنني سأظل صديقاً لك.

وأطرق مارك رأسه متجهم الوجه. شعرت كوري انها تجلس قرب انسان غريب، غامض ينذر مظهره بالخطر.

حدقت في الظلام الدامس حزينة، قلقة. لم تكن تتوقع كل هذه التعقيدات، وصارت عاجزة عن التصرف بحكمة، وتكوين رأي واضح حول ما يجري.

ربما كانت الأمور أقل تعقيداً مما تصورت. ألم تقرر تجاهل بويد، والاحتفاظ بهدوء أعصابها أمامه؟ فلتتعامل مع فريزر بالأسلوب

نفسه، وتتغاضى عن غروره الطائش. ولتجد طريقة معقولة للتفاهم مع مارك. انه يختلف عن الآخرين، وهي لا ترغب في ايذاء مشاعره.

نظرت الى مارك وهو يغرق في صمت عميق. كان صمته ينبىء بتوتّر دفين، وأزمة حادة تضج في فؤاده. ما أصعب هذا الموقف. انعقد لسانها فلم تنطق بكلمة واحدة.

تمنت ان يزول التوتر مع صباح اليوم التالي. فلتذهب الى الخيمة الآن، وتأوي الى الفراش قبل غيرها. استدارت وتوجهت صوب خيمتها.

- والى اين تذهبين؟

رنّت الكلمات في اذنيها ثقيلة، مخيفة. كان فريزر يقف وراءها بقامته الشامخة.

قالت بعجلة:

- الى الفراش.

- اعتقد انك تسيرين في اتجاه خاطىء.

اجابت بحذر:

- لا. لا أظن. هل نسيت ان هذه هي الخيمة التي اتقاسمها مع مارك وبويد وبيتر؟

خالت كوري انها في كابوس رهيب وهي تصغي الى جوابه:

- انا لا انسى شيئاً، تلك كانت خيمة كولن، وليست خيمة كوري.

بدا فريزر في تلك الظلمة الداكنة شبحاً مخيفاً، يبيّت نوايا خبيثة. ان كلماته المبطنة تنذر بخطر داهم، ولكن لن تدعه ينجح في تنفيذ خطته. عليها الاحتفاظ برباطة الجأش، وافشال مؤامرته الجديدة.

سألته بهدوء:

- هل لديك خيمة اخرى؟

- نعم.

- اية خيمة؟

تعمد تأجيل جوابه، ليختلق جواً من الترقب والقلق. جمدت في مكانها، مصممة على عدم التفوه بحرف واحد لئلا تحقق مأربه.

وما لبث ان قال بسخرية لاذعة:

- خيمتي بالطبع.

اجابت بوقار وكياسة:

- شكراً على تلطفك وكرمك.

وجلجل مقهقهاً:

- تلطفي وكرمي؟

- لا شك انك تضحي كثيراً عندما تقرر النوم مع الآخرين، واخلاء خيمتك من أجلي.

بلغت سخريته حداً لا يطاق:

- يا عزيزتي كوري، من قال لك اني انوي التخلّي عن خيمتي؟

اصطكت اسنانها ذعراً:

ـ لأنك . . لأن المسألة واضحة، انت قلت . . .

قال بعنجهية:

ـ انا قلت انك ستنامين في خيمتي. وساكون أنا هناك أيضاً.

وصاحت باضطراب:

ـ كلا.

فردّ بلهجة الأمر الناهي:

ـ نعم.

ـ لا. لن انام في خيمتك.

حاولت ان تفر منه وتلجأ الى مارك، صديقها الذي سيدافع عنها ويحميها.

قبضت على معصمها أصابع فولاذية، وخالتها تكاد تمزق جلدها الطري وهي تنتفض محتجة:

ـ دعني وشأني.

ـ ستأتين معي.

تملكها الغضب الشديد، ولم تعد تبالي بشيء، فصاحت:

ـ لا يمكنك اجباري على الذهاب.

فشدّ على معصمها بقوة:

ـ يمكنني اجبارك على فعل أي شيء.

وراح يجرّها من يدها، فلم يعد أمامها الا طريقة واحدة لانقاذ نفسها. سيهرع مارك الى نجدتها اذا ما صرخت بأعلى صوتها، وكذلك بيتر، وربما بعض الرجال الآخرين.

همّت بالصراخ، ولكنه احبط محاولتها، مطبقاً بيده الغليظة على

فمها الصغير. وألحّ قائلاً:

ـ هلا أتيت معي بهدوء؟

هزت رأسها بعنف. فعلّق واجماً:

ـ سأجبرك بطريقتي الخاصة. واياك ان تحتجّي بعد ذلك.

ارخى قبضته عن معصمها، وانحنى يرفعها عن الأرض كدمية خفيفة. كان مفتول العضلات صلب الصدر، عريض المنكبين. اصيبت كوري بالدوار من الرجولة الخارقة، وسحر البطش الماحق. ولم تلبث ان استردت وعيها، مدركة معنى ما يجري.

فتحت فمها مرة اخرى تهم بالصراخ، ولكنه خنق صوتها بقبضته العنيفة السريعة. قاومته بكل قواها. راحت تلكم بيديها، وترفس بقدميها دون فائدة. شدّها الى صدره، فهبط قلبها في داخلها، وهي تراه يهصر جسمها الطري هصراً، وكأنه يريد ان يؤلمها ويعانقها في آن معاً.

وتمكنت اخيراً من عضّه، فصاح:

ـ يا لك من قطة شرسة!

امسك اطرافها باحكام، وحملها الى خيمته الغارقة في العتمة. اغمضت عينيها وجلست مذهولة لا تقوى على الحراك. ألقى بها ارضاً، كخرقة ممزقة، وسمعته يقول:

ـ حقاً انك ابنة جون لاتيمر، تصارعين حتى النفس الأخير.

ارتسمت ابتسامة شاحبة فوق شفتيها:

ـ لا اعتقد ان والدي نال شرف عضك مثلي.

اجاب بمرارة:

ـ لا لم يعضني باسنانه. لكن لسانه عضّني مئات المرات، لم يكن يتراجع عن رأيه حتى ولو ادرك انه مخطىء.

ارتسمت امام كوري، لبرهة خاطفة، صورة والدها الهزيل، تحيط به كتبه. لقد فاته القطار الآن ويعجز عن مواجهة رجل شاب قوي، يفور نشاطاً. هكذا ترسخت قناعتها بضرورة تنفيذ مهمتها.

قالت:

ـ وأنا لا أتراجع عن رأيي كذلك!

فكر فريزر ملياً. ثم انحنى ورفعها على قدميها. وصاحت:

ـ دعني وشأني.

ـ سمعاً وطاعة، ولكن بعد ان اوضح بعض الأمور.

قرأت في صرامة صوته عقلية لا تقبل أقل من الخضوع التام. انها تدرك مدى تطفّلها، وفرض نفسها على شخص لديه مفاهيم محددة حول دور النساء. ولكن لا يحق لفريزر اهانتها على هذا النحو. لا لن تدعه يدوس على كرامتها، واكدت له:

ـ اريد الحصول على صور الرسوم مهما كلف الأمر.

ـ لا مانع لدي، هذا اذا حسّنت سلوكك... واذا كانت الرسوم الصخرية موجودة.

شمخت بأنفها:

ـ انا متأكدة من وجودها.

ـ لا شيء يثبت وجودها سوى عناد والدك، وشهادة احد عابري السبيل.

ـ ان والدي يثق بعابر السبيل. الرسوم الصخرية موجودة ولن أعود قبل تصويرها.

قال بامتعاض:

ـ انك اسوأ من والدك. كم هو عمرك يا كوري؟

ـ اثنان وعشرون عاماً.

ـ اكبر مما توقعت.

وسألته وقد هدأ روعها قليلاً:

ـ اذن لديك فكرة عني؟

واستأنف لهجته الساخرة:

ـ بكل تأكيد. اعرف عنك الشيء الكثير يا كوري لاتيمر.

قضمت شفتها حائرة. ها هو يعود الى الغمز واللمز. لتغيّر مجرى الحديث:

ـ كنت تنوي مناقشة مسألة معينة معي؟

ضحك هازئاً:

ـ اناقش؟ ليس عندي مناقشة يا كوري، بل مجرد أوامر. أوامر نافذة، نهائية.

قالت بمرارة:

ـ تعتقد انك تستطيع معاملتي كيفما تشاء.

فانفرجت اساريره:

ـ بالضبط. اصغي اليّ جيداً يا كوري لاتيمر، والويل لك اذا رفضت. سأعاملك مثل اي شخص آخر. لا يهمني انك انثى كما سبق لي القول. وسوف تدعين رجالي وشأنهم، وهو ما قلته لك

أيضاً. اياك استغلال عواطفهم. يكفي ان مارك وبويد يتنافسان عليك.

فضّلت تجاهل استفزازاته:

ـ أهذا السبب نقلتني من خيمتهما؟ لا شك انك مهتم بسلامتي؟

فاستطرد ساخراً:

ـ لا تكوني ساذجة. ان لهما مطلق الحرية، ولن اتدخل في شؤونهما الخاصة. ان فتاة تلتحق برحلة كهذه لا تستحق تأمين سلامتها.

لاحظت انه يتعمد جرح كبريائها باستمرار. نظرت اليه متعجبة:

ـ ماذا اذن؟ ما هو مبرر اخراجي من الخيمة؟

انتظر قليلاً وقال:

ـ لم اكن مهتماً بسلامتك. كل ما يهمني تأمين راحة رجالي. علي اتخاذ الاجراءات اللازمة قبل ان ينفجر الوضع بين بويد ومارك.

ردت باستهجان:

ـ انت لا يمكنك تخيّل اي رجل بدون غرائز وضيعة مثل غرائزك.

ـ غرائز وضيعة؟ لا يا عزيزتي، انها غرائز الرجولة. وكلنا سواسية الحمد لله.

التهب الغضب في جوارحها:

ـ انت أبغض رجل رأيته في حياتي. ولا توجد قوة في الأرض

تجبرني على النوم في خيمتك الليلة.

هدّدها بفظاظة:

ـ تعرفين ان لا فائدة من عصيان أوامري.

ـ لا ليس هذا صحيحاً.

خطت الى الوراء مذعورة، عازمة على الفرار. سدّ باب الخيمة. لا مجال للهرب. قال لها:

ـ لا مانع لدي من اثبات رأيي ثانية.

كانت هذه المرة على اهبة الاستعداد عندما تقدّم نحوها. قاتلت بشراسة القطة المحاصرة. خمشت، خدشت، وكشفت عن انيابها، ولكن دون فائدة. ظل كالطود الشامخ ترتطم فيه موجة ضعيفة. وسألها:

ـ لماذا تقاومين هكذا؟ انصحك بالرضوخ واطاعة أوامري.

فصاحت رافضة:

ـ آه كم اكرهك.

ـ تكرهينني؟ ما هذه المسرحيات؟ هل عدنا الى عالم الأزياء؟ أهكذا كنت تتصرفين مع اريك هوغن؟

رمت كوري برأسها الى الوراء:

ـ اريك؟ من اخبرك عن اريك؟

ـ ان صحف مدينتكم ليست غريبة عليّ رأيت بعض الصور المثيرة لكما معاً.

بلعت كوري ريقها. اذن لقد رأى صورتها مع اريك، في المطعم. كم كانت حياتها آمنة آنذاك. يا لسخرية الاقدار كيف

تبدّل كل شيء! وظل فريزر يحملق في عينيها وهي في حالة من الارتباك الشديد.

٦ ـ لمحت في وجه فريزر جموداً رهيباً . كانت عيناه مسمّرتين على يدها وهي تلامس ذراع مارك . أساء فهم دوافعها . ومع ذلك ، شعرت بغبطة خفية .

www.elromancia.com

سألته كوري بفارغ صبر :

ـ اين سأنام الليلة ؟

ـ ستنامين هنا .

وصرخت بحدة :

ـ اذن انت تنام مع الآخرين .

رد فريزر باسلوبه المعتاد :

ـ لا ابداً . لقد أوضحت موقفي . ولكن اطمئني ، انك في أيدٍ أمينة .

تكوّمت كوري في الزاوية ، وتلحفت بما توفر من الأغطية

والبطانيات ، وتظاهرت بالنوم . لن تخلع ثيابها قبل أن تتأكد من غرقه هو الاخر في نوم عميق .

ظل فريزر صامتاً . ثم سمعته يتنقل في الخيمة ، فخالته يستعد للنوم . كانت قد أدارت ظهرها متحاشية النظر اليه أو رؤية وجهه المتعجرف وملامحه القاسية . انها لحظات مؤلمة ، تمزق قلبها المعذب ، وتقتل كل شعور بالصداقة والاخلاص في النفس البشرية .

تأكد لها أن فريزر لا يعاني من أي عذاب أو صراع مماثل . أخذ يصفر ألحاناً مختلفة وهو يطوف في الخيمة ، وكأن كل شيء على ما يرام .

توقعت أن يبادر الى التمني لها « بليلة سعيدة » ، أو « اراك في الغد ان شاء الله » . ولكن توقعاتها ذهبت سدى.

ما هي الا لحظات حتى أخذت تشنف اذنيها بشخيره البطيء الثقيل يملأ ظلام الخيمة . غرق في نوم عميق ، تاركاً اياها مسهدة كأنها تستلقي على فراش من الشوك والجمر . وبدأت تكتشف في قلب تلك العتمة المخيفة مدى سيطرة فريزر على حواسها ومشاعرها . كان يملك سحراً عجيباً يجذبها اليه ، يؤرقها ، ويقلب كل مفاهيمها التقليدية بصدد الحب والزواج ، تلك المفاهيم التي تلقتها منذ نعومة أظافرها .

وترامت الى مسامعها أصوات مبهمة ، متقطعة من الجانب الآخر من المخيم . ثم بدأت الأصوات تزداد وضوحاً . انها أصوات الرجال يتوجهون الى خيمهم ، وتبينت منها صوت بويد

يتلفظ باسمها واسم فريزر .

كان صوتاً متهكماً ، يرن بقهقهة لئيمة . لم تسمع كل كلمة قالها ، ولكنها فهمت مغزى حديثه واصراره على الطعن بسمعتها . تنهدت بامتعاض وهي تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعها .

واضمحلت الأصوات . ساد الصمت داخل الخيمة وخارجها ، ما عدا تنفس فريزر المنتظم ، وهمهمة حشرات الليل . وفجأة مزق هدوء الليل زئير متواصل ، ترددت أصداؤه في جنبات الصحراء .

انه اسد . غرزت كوري اظافرها في لحم كفها . تصاعد الزئير من مكان قريب ، ولا بد أن الأسد يطوف الآن حول المخيم . ارتعدت فرائصها ، وفطنت الى وجود فريزر معها ، فهدأ روعها قليلاً . انه رجل متعجرف ، متحجر ، وسليط ، ولكنه سيؤمن لها الحماية في هذه اللحظة الحرجة . مرت دقائق مشحونة بالتوتر ، تتقاذفها مخاوف رهيبة ، ولا تلبث أن تطمئن الى سلامتها وهي تفكر بفريزر ومدى صلابته وجرأته .

واستسلمت أخيراً للنوم . عندما فتحت عينيها كانت خيوط الفجر تتسلل من فجوة ضيقة في الخيمة . فركت جفنيها وكأنها في حلم مذهل . تزاحمت في ذهنها احداث اليوم الفائت ، فهزت رأسها تحاول طرد أشباحها .

كانت الخيمة خاوية . لا بد أن فريزر استيقظ قبلها . ترى هل رآها تغط في نوم عميق ؟ سرت في وجنتيها حمرة الخجل ، وتسارعت نبضاتها .

وما ان اصبحت في الخارج حتى رأت المخيم يموج حركة ونشاطاً . كان الرجال قد ارتدوا ملابسهم الكاملة ، وبدوا حليقي الذقن ، أنيقي المظهر . وهو تطور جديد ، عرفت كوري انها مسؤولة عنه بعد اكتشاف هويتها كأنثى . ثم لاحظت ان الجميع يتوقع منها اعداد وجبات الطعام . لم تعترض . انها تهوى طهي الطعام ، وطالما أبدت أسفها لانشغالها بأمور اخرى . ومع ان وسائل الطهي ومواد الأكل لا يمكن مقارنتها بما يتوفر في المدينة ، فان كلمات الشكر والثناء التي اثارتها وجباتها المرتجلة جعلتها تنسى أية صعوبة اخرى .

وعلق فريزر ، وهو يمضغ لقمته الأخيرة :

ـ انه فطور شهي .

كانت هذه الكلمات الوحيدة التي سمعتها منه بعد أحداث الليلة الفائتة في الخيمة . وتسارعت نبضات قلبها . وقف قربها بقامته الشامخة ، أسمر الوجه ، تموج عيناه بصفاء البحر الهادىء . يدل مظهره انه قضى ليلة هنيئة ، ولم يكن لوجودها في خيمته أي اثر يذكر على اسلوب حياته .

قالت مبتسمة :

ـ اذن للنساء بعض الفائدة ؟

مط شفتيه متهكماً :

ـ أنا أول من يوافق على ذلك .

فامتعضت قليلاً :

ـ بالله عليك ما هذا الكره الدفين ؟

رد باعتدال :

ـ لا تتظاهري بالبراءة . من يقرع الباب يسمع الجواب . ولا تفكري برد بارع الآن . كنت تعرفين رأيي مسبقاً .

راقبته يبتعد عنها ، طويلاً ، خفيف الحركة ، ثابت الخطى . تمنت لو تستطيع ارجاع عقارب الساعة ، وتبديل كل قراراتها .

حمل مارك صحن الطعام ، وجلس بجانبها . ظل لحظة صامتاً . بدا متوتراً شارد النظرات . وفطنت الى ان مزاجه السيء يرتبط بشيء فعلته . كانت تبحث عن اسلوب ملائم لكسر حاجز الصمت بينهما عندما بادر الى القول :

ـ ماذا جرى ليلة امس ؟

ـ لا شيء البتة . . .

ونظر اليها بعينين حادتين :

ـ لا ضرورة الى التظاهر بالبراءة يا كوري . ان فريزر ملوري يحب اللهو مع النساء .

قالت كوري بخفة عفوية :

ـ هذا اذا وجد رغبة لدى النساء .

أصيب مارك بالحرج :

ـ لم اقصد . . . لا اعني . . .

قالت بلطف ، يؤنبها ضميرها :

ـ اعرف انك صادق النية .

ـ هل انت متأكدة انه لم يحدث اي شيء ؟

لم يحدث اكثر من تصدع في عالمها ، خاطبت كوري نفسها ،

وأصبحت كالركن المتداعي . ولكن ذلك لن يثير اهتمام فريزر في شتى الأحوال ، ولا يجوز لها القاء التبعة على كاهل مارك . فأجابته بصوت عال :

ـ انا متأكدة تماماً .

تبدلت لهجته :

ـ كوني حذرة يا كوري .

وعدته ، مدركة معنى عبارته :

ـ سأكون حذرة كل الحذر .

واستطرد :

ـ ان فريزر قائد جيد ، ولكنه صعب المراس ايضاً . ستتعرضين لمتاعب كثيرة اذا ما وقعت في غرامه .

لمست كوري مدى أسى مارك وانزعاجه . وضعت يدها بلطف على ذراعه ، وقالت مبتسمة :

ـ لا تقلق علي . لا مبرر لقلقك اطلاقاً .

ورن صوت فريزر يناديها :

ـ كوري .

فاستدارت قائلة :

ـ نعم ؟

ـ اريد منك انجاز بعض الأمور المستعجلة .

وردت :

ـ سمعاً وطاعة .

اختارت كلماتها بدقة ، وتمعن . لمحت في وجه فريزر جموداً

رهيباً . كانت عيناه مسمرتين على يدها تلامس ذراع مارك ، وأساء فهم دوافعها . مع ذلك ، شعرت بغبطة خفية . لا بأس من اكتواء فريزر ببعض الغيرة ، ربما كانت هذه نقطة ضعفه .

شمخت بأنفها ، وارتأت اثارته اكثر :

ـ لينظف الصحون أحد سواي .

مع ذلك نجح في الهائها بشؤون اخرى . قضت معه اكثر من ساعة يبحثان شجون التصوير والمهمات المترتبة عليها . كرهت في البداية طريقته الفظة في اصدار الأوامر ، ولكنها تناست حنقها وهي تزداد انهماكاً في عملها الشيق .

قال فريزر وهما في طريق العودة الى المخيم :

ـ الم احذرك من العبث مع الرجال ؟

عرفت كوري ما الذي يشغل باله . انه سينحو عليها باللائمة في كل ما تفعله . اذن ، لا فائدة من اطلاعه على الحقيقة حول ذلك المشهد الذي رآه بأم عينيه .

ابتسمت مستفسرة :

ـ أنت تغار من مارك ؟

عض شفتيه امتعاضاً ، وبقبضة صلدة طوّق معصمها :

ـ يا لك من امرأة شريرة .

واظبت على اغاظته :

ـ انت تتهرب من الاجابة على سؤالي .

فرد بازدراء :

ـ تعرفين جوابي ، لماذا أغار ؟ انت لا تختلفين عن أية امرأة

أخرى .

كان غروره لا يطاق ، ولكنها أصرت على رأيها :

ـ أنت غيور .

ضغط بأصابعه على معصمها :

ـ ان ذوقي أرقى مما تتصورين . ولا أجد مبرراً لتبديد وقتي على عذراء مثلك .

انه لا يكف عن اهانتها . قالت بصوت خفيض :

ـ ليتني بقيت في المنزل ولم أشاهد وجهك في حياتي .

قال يزيد نيران غيظها وقلقها اضطراماً :

ـ ان رأيك مشابه لرأيي . احذرك ثانية يا كوري . اياك واثارة المتاعب بين أفراد البعثة .

أحست بضعفها وأنوثتها الغضة في آن معاً :

ـ لم افعل شيئاً غير لائق مع مارك أقسم لك .

أجابها بصوت مخيف :

ـ هذا هو رأيك . ولكن يجب أن تعلمي أن مارك على وشك الوقوع في غرامك .

صاحت مستنكرة ، وهي تدرك في قرارة نفسها صدق كلمات فريزر :

ـ هذا هراء . ان مارك مجرد صديق ودود .

واسترسل :

ـ طبعاً . غير ان صداقة كهذه مليئة بالأخطار ، ولن يدرك ذلك الا بعد فوات الأوان .

وقالت بعفوية :

ـ وهذا ما يوجد بيني وبينك أليس كذلك ؟ مجرد صداقة .

اجاب بتمهل :

ـ ان الأمور تحت سيطرتي المباشرة ، ولذلك لا خطر علي . استطيع البقاء معك أو التخلي عنك ساعة اشاء .

ادركت ان الاعتصام بالصمت خير وسيلة تتبعها مع هذا الرجل المتعجرف . ولكن كلماته الأخيرة أفقدتها صوابها ، فقالت متحدية :

ـ ألست من لحم ودم مثل الآخرين ؟

طوقها بذراعيه القويتين ، وشدها اليه يهصرها هصراً .هل يريد عناقها أم ايذاءها ؟ وكادت تصرخ ألماً عندما دفعها بعيداً عنه ، فسقطت أرضاً ترتعد من الخوف . نظر اليها بازدراء قاتل ، تضج في صدره غرائز سافلة ، وفي عينيه بركان مزمجر . نهضت تهمس بدعة :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

فقال بصوت اجش :

ـ لأثبت لك انني من دم ولحم كأي رجل آخر ، ولكن استطيع السيطرة على نفسي عندما يحلو لي . اما انت فلا تملكين ارادة أو أي شيء . انك أسيرة غرائزك .

انفجرت غضباً :

ـ يا لك من وحش ضارٍ .

وبدأت تبتعد عنه حائرة ، مضطربة الأعصاب . انها أنثى

جميلة القوام والوجه ، تعيش بين مجموعة من الرجال وسط صحراء مقفرة ، ومن الطبيعي أن تلفت الانتباه ، وتخلق اجواء غير طبيعية . ماذا تفعل ؟ لم تجد جواباً شافياً . كل ما تريده الآن تجنّب فريزر ملوري وكل ما يمثله من غرور ، ورجولة وجاذبية . انه يكاد يدمر طمأنينة نفسها التي لم تفقدها في كل مراحل حياتها .

لم تنبس ببنت شفة وهي تتابع سيرها ، وحتى عندما سمعته يحذرها مجدداً من مغبة التورط مع مارك .

تنفست كوري الصعداء عندما تركها فريزر وشأنها ذلك اليوم . وشغلت نفسها بعد الغداء مع بعض الرجال ، متلكئة في التقاط الصور الى أن رأت الشمس تتوارى وراء الأفق ، وأخذ الجميع يستعد لاستقبال الليل .

فقد ظلام الصحراءسحره . خالت النجوم المتناثرة في الفضاء الشاسع باهتة ، تبعث على الرهبة والحزن ، حتى زئير الأسد بات قصة عتيقة تدعو الى التثاؤب عوض التيقظ والترقب . ستنطفىء النار بعد قليل ، ويأوي الرجال الى الفراش ، وستجد نفسها وحيدة في الخيمة مع فريزر ملوري . ورغم تصميمها على صده ، وعدم السماح له بمسها أو التحدث معها ، توجست شراً وسرت في شرايينها قشعريرة مخيفة . ان مجرد التفكير في فريزر يقلب كل حساباتها ويحوّلها الى ريشة في مهب الريح .

ترى هل ينتظر فريزر تقدم الليل ؟ خاطبت نفسها . رأته يتحدث مع بيتر ، ولم تتمكن من سماع الحوار ، ولكن بدت عليه امارات الود والارتياح . ادركت انه لا يعير اهتماماً لقلقها

وأوهامها، فأصيبت بخيبة امل .

رفع فريزر عينيه وحدق اليها كأنه احس بها تراقبه ، والتقت نظراتهما برهة عبر ألسنة النار . كانت برهة قصيرة خالتها دهراً ، اذ تراءى لها انه لا يوجد أحد سواهما في هذه الصحراء . تجمّد الدم في عروقها وهي تشيح بوجهها صوب الأفق المظلم .

وتنبهت فجأة الى قرارها السابق ، لتذهب الى الخيمة لتوّها وتأوي الى النوم قبل أن يدركها فريزر . ان مشاعرها الرقيقة لن تقوى على خوض تجربة مريرة جديدة وربما أشد غرابة .

٧ ـ قررت الابتعاد عنه حتى لو اضطرت الى عصيان أوامره . ولم يخطر لها أن هناك رجلين آخرين يتنافسان عليها بكل ما أوتيا من قوة .

www.elromancia.com

وهكذا مضت كوري الى الخيمة ، تاركة مارك في خيبة أمل وارتباك . لكنه بقي في مكانه قرب النار مدركاً عقم التحدث اليها في هذا الوقت بالذات .

اخذت تستعد للنوم ، مطمئنة الى وجودها وحيدة ، وانشغال فريزر بأمور أخرى . وما ان سمعته يقترب من الخيمة حتى استلقت متظاهرة بالنوم العميق . أحست به يعاينها ، ويتمعن في وجهها . وجدت صعوبة في المحافظة على تنفسها الطبيعي المنتظم وقد راح قلبها يخفق كالمطرقة . هل انطلت عليه الحيلة ؟ ليس من السهل خداع رجل حاد الملاحظة مثل فريزر ، خاطبت نفسها

وهي تترقب خطوته التالية .

بدا انه غير مكترث كثيراً بوضعها . ها هو يبتعد قليلاً ويباشر بخلع ملابسه . كادت أن تفتح عينيها قليلاً وتختلس النظر . ثم استقر رأيها على تحاشي أي خطأ قد يورطها في مماحكات مؤلمة ، ومهاترات باتت تعرف عواقبها .

وبعد لحظات معدودة كان شخيره البطيء يملأ أرجاء الخيمة . انه لم يبالغ عندما أكد لها قدرته على التحكم بعواطفه ، والسيطرة على نزواته الطارئة . تمنّت لو كانت تملك قوة ارادته وبرودة اعصابه .

استلقت متململة في الظلام ، محاولة التركيز على أي شيء آخر . انها لن تسمح لفريزر بالاستيلاء على مشاعرها ، والانزلاق في هاوية غروره وتصرفاته الفظة ، والا قضي عليها كانسانة حرة طليقة .

نهضت في صباح اليوم التالي متأخرة ، وبعد أن غادر فريزر الخيمة . واتجهت الى نار المخيم فاختارت مكاناً بعيداً عنه قدر الامكان . التفتت بدون تعمد فرأته يراقبها . التقت نظراتهما لحظة طويلة . لو كان فريزر رجلاً آخر لما ترددت كوري في الابتسام له والقاء تحية الصباح عليه . لكنه فريزر ، ولا تليق به تحية الصباح العادية .

وقبل أن تشيح بنظرها بعيداً عنه ، لمحت كوري في عينيه تلك النظرة الساخرة المتهكمة . كادت تسحق فنجان قهوتها وهي تحتسي رشفة حارة . لا فائدة من التظاهر بالهدوء ، ما أن يقع

نظرها عليه حتى يكتسحها اضطراب هائل لا يقاوم .

قررت الابتعاد عنه بأي ثمن ، حتى لو اضطرت الى عصيان أوامره . ان غروره الوقح لا يترك مجالاً للتفاهم معه ، أو الاقتراب منه بحرية وعفوية .

قضت كوري صباحها تلتقط الصور مع مارك ومجموعة من زملائه . وكان يتحين الفرصة ليتبادل معها بعض الكلمات . طلب منها أن تتنزه معه في المساء ، وبعد الانتهاء من العمل . وافقت كوري مع معرفتها لتحذير فريزر واعتراضه . كان مارك رجلاً يوحي مظهره بالثقة . وما أعذب تلك الابتسامة تحوم على شفتيه وهو يرمقها باعجاب خفي . وازدادت قناعة بتقديرها له وارتياحها الى رفقته . كان فريزر حذّرها من مارك ، ووقوعه في غرامها . ربما كان ذلك صحيحاً ، مع انها تمنّت ألاّ تصل الأمور بينهما الى هذا الحد . انها لا تتمنى اكثر من بناء صداقة متينة ، مؤهلة للاستمرار والنمو زمناً طويلاً .

لم تعثر على اثر لفريزر . ظنت كوري انه منهمك في التنقيب عن موقع جديد . تنفست الصعداء لغيابه ، وزال توترها الدائم الذي يلازمها مع وجوده بجوارها .

وكم كانت مخطئة ، ها هو شبحه يطاردها ، ويسكن أفكارها . استشاطت غيظاً وهي تلمس ضعف ارادتها وهشاشة عزيمتها . ألم تقرر تجنبه والابتعاد عنه ؟ نعم ان الابتعاد عنه جسدياً مسألة سهلة ، ولكن ما الذي تفعله بعقلها ومشاعرها وعواطفها؟

حان وقت تناول الشاي . وجدت نفسها تتحدث الى الرجال

الآخرين باندفاع منقطع النظير ، الأمر الذي اثار دهشتهم ، ولفت انظارهم .

عادوا الى المخيم عند الظهيرة . ودنا منها فريزر وهي تلتهم طعامها ، كان يريدها أن تعمل معه بعد الظهر . ازداد وضعها سوءاً . خانتها ارادتها وغمرتها أحاسيس غريبة وهي تتأمل قامته الطويلة ووجهه الصارم .

خرجت الكلمات من فمها بشق النفس :

ـ آسفة . لا استطيع العمل معك اليوم .

فتقوّس حاجباه :

ـ لا تستطيعين ؟!!

تمتمت متلعثمة :

ـ انني مشغولة بانجاز بعض الأمور في الموقع الآخر . ولا يمكنني التوقف الآن .

لم يجبها . أخذ يتمعن في وجهها صامتاً . احمرت وجنتاها خجلاً وقالت بصوت مخنوق :

ـ انني مشغولة ، هل أنت أصم ؟

ضحك بملء فمه . واقشعر جسم كوري . ادركت انه يخترق معاني كلماتها ، ويفهمها على حقيقتها . لا بأس ، لتحتفظ الآن برباطة جأشها ، وتهيء نفسها لمواجهته في وقت لاحق . لا فائدة من الرد عليه وهي في حالة يرثى لها ، لا تحسن اخفاء مشاعرها ، ولا تعرف كيف تتلقى عجرفته الطاغية . اغمضت عينيها ، ودفنت رأسها بين راحتيها .

ارتفع صوته هازئاً ، مغرياً :

ـ كوري ، سأتساهل معك اليوم ، لأن ذلك لن يضيرني . ولكن لا يمكنك تجنب العمل الى الأبد .

وأدركت كوري ان انتصارها الذي حسبت انها حققته كان انتصاراً هشاً ، سريع الزوال .

وجدت صعوبة في التركيز على عملها . تعثرت أكثر من مرة ، وكادت آلة التصوير أن تهوي من يدها ، وتتحطم شظايا . وترامى اليها صوت مارك متسائلاً :

ـ ما بالك يا كوري ؟ هل انت على ما يرام ؟

نظرت اليه ، فرأته يستبد به القلق . ان بينه وبين فريزر هوة شاسعة ، وكأن السيد ملوري لا يعرف معنى للقلق ، أو الاهتمام بما يصيبها . وألح مارك :

ـ كوري ؟ ما بك ؟

حامت على ثغرها ابتسامة شاحبة :

ـ انا بخير . اطمئن .

فلم يقتنع :

ـ يبدو انك شاردة الذهن .

ـ لا بد أن الحر أثر علي . ولكني بخير ، اطمئن .

ظل مارك يرمقها برهة من الزمن . واحتضن يدها مبتسماً :

ـ أتمنى ذلك . . . اتمنى ذلك من كل قلبي .

وسمعت نفسها تقول له :

ـ سأذهب معك للتنزه كما اتفقنا ، لأثبت لك صحة قولي .

ـ انها فكرة رائعة .

وكاد يطير فرحاً ، مما جعلها تشعر بوخز الضمير ولم تجد مبرراً لشعورها المفاجيء .

انهيا عملهما في وقت مبكر . وفيما عاد الآخرون الى المخيم سار مارك وكوري في اتجاه معاكس .

كانت الشمس توشك أن تغيب ، باعثة أشعة واهنة ، باهتة . وترامى الفضاء الشاسع فوقهما صافياً ، تمتزج في رحابه ألوان الغروب الذهبية القرمزية . وخيم هدوء شامل ، يخبيء في طياته حشرجة النهار المحتضر وأسرار الليل الوليد .

وفجأة سمعت كوري صدى خشخشة على مقربة منها . استدارت فوقع نظرها على غزال ، ينتصب جامداً كالتمثال ، يراقبهما بحذر شديد ، وكأنه يهم بالفرار . فكرت كوري بالزئير الذي ترددت اصداؤه في سكون الليل ، فأدركت ان الغزال سيكون لقمة سائغة لأي أسد يتربص به . ان حذره مسألة طبيعية ، وهو في هذا الوضع الصعب .

تقدما بخطوات وئيدة . وارتفعت امامهما شجرة زعرور شائكة وسط الأعشاب الذابلة ، وحطت على الأغصان العارية أسراب من النسور الكاسرة . سبق لكوري أن رأت نسوراً كهذه تغط منتظرة ، أو تحوم في الفضاء . انها من الطيور الجارحة ، تتحين

فرصة الانقضاض على فريسة نال منها الأسد حصته فتقتات بالفضلات الباقية . اقشعرت كوري وهي ترى النسور تغطي الشجرة ، صامتة ، مترقبة .

ما أصعب مشهد الموت والافتراس في هدوء الغسق الجميل . ولكن هذه هي حياة الصحراء البدائية الصارمة . حياة مضى عليها آلاف السنين . القوي يأكل الضعيف ، حيث يهيمن قانون الغاب هيمنة مطلقة . انه مفهوم متوحش يثير الرعب ، ولكنه يشيع أيضاً جواً من المغامرة والتحدي . ومرة ثانية ، وبدون ارادة منها ، تراقصت صورة فريزر في ذهنها .

التفتت الى مارك معلنة :

ـ انها مناظر مثيرة أليس كذلك ؟

تبدلت ملامح مارك ، ووافق مردداً :

ـ انها حقاً مثيرة .

وتابعت تحاول اخفاء ارتباكها :

ـ انت تحب هذه الحياة ، اليس كذلك ؟

ساد صمت غريب . ثم قال مارك :

ـ كنت احبها كثيراً .

تساءلت بعجب :

ـ ولم تعد تحبها الآن ؟

فازدادت ملامحه تجهماً :

ـ انها حياة موحشة . هل يمكنك التعوّد عليها يا كوري ؟

علت وجهها مسحة من الحيرة القاتلة . انها الآن في سن يؤهلها لفك مغزى الكلمات الغامضة . وتعرف تماماً كيف تضع حداً لتمادي بعض الرجال من دون أن تجرح مشاعرهم . لكن مارك ليس ككل الرجال . انها تعتبره من اعز اصدقائها . فأجابته :

ـ لست . . . لست متأكدة .

وأدركت انها لم تكن صادقة مع نفسها . انها تستطيع التعوّد على هذه الحياة ، والتمتع بها وذلك في ظروف معينة ، وبصحبة أناس معينين . هبطت عليها الفكرة كالصاعقة ، انها لا تكاد تصدق ما يدور في ذهنها . رددت كلماتها بشفاه مرتجفة :

ـ لست متأكدة . انني متعبة اكثر مما تصورت . ما رأيك لو نعود الى المخيم ؟

قال :

ـ حسناً .

لم يدل صوته على شعور بخيبة الأمل أو الرفض . لكن كوري عرفت مدى انزعاجه وتأففه وهما يتوجهان الى المخيم . سرى اللغط عندما اصبحا وسط حلقة الرجال . وأحست كوري ان الجميع يحدجونها بنظرات مستفهمة ، خبيثة . لم يكن هذا شيئاً جديداً عليها . فضّلت تجاهلهم ، والتظاهر بعدم المبالاة . حتى بويد ، بكل وقاحته واشاراته المبطنة لم يعد اكثر من ازعاج يومي تعلمت كيف تتحمله مكرهة . وها هو يصيح بلهجته المستهترة :

ـ ما هذا يا مارك ؟ هل انعم الله عليك بأشياء حرمنا منها ؟

وعلت القهقهات تصم الآذان . ثم برز فريزر ، يسير متمهلاً صوب كوري ومارك . حبست أنفاسها . لن تدعه يستغل الموقف ويتهكم عليها . ولم ينبس ببنت شفة ، لكنه بدا في حالة من الاستياء الشديد . خيم صمت مشحون بالتوتر .

شعرت كوري بالغضب يتأجج في داخلها . انها لم تفعل شيئاً يستحق هذه المعاملة . هل تنفجر غضباً ، وتلقن فريزر وبويد درساً قاسياً ، أم تتصرف بوقار وتحفظ كرامتها ؟ استقر رأيها على الخيار الثاني .

انطلق صوتها واضحاً واثقاً وقالت وهي تلمس ذراع مارك :

ـ استمتعت بالنزهة كثيراً يا مارك . اتمنى أن نقوم بنزهة ثانية في وقت قريب .

لم تنتظر جوابه . وتوجهت صوب خيمة المطبخ والابتسامة تعلو فمها . ومشت برأس مرفوع هادئة واثقة الخطى . لكن ما ان اصبحت في الداخل ، حتى تكدر مزاجها من جديد .

ظلت تشعر بالانقباض حتى صباح اليوم التالي . كان ذلك اليوم يوم عطلة ، حيث انهمك الرجال في المطالعة ، أو ممارسة بعض الألعاب والتمارين الرياضية . اما هي فكانت في وضع لا تحسد عليه ، لا تدري ماذا تفعل ، أو أين تتوجه .

قررت مغادرة المخيم والابتعاد عن هذه الأجواء الخانقة . وتذكرت تحذير فريزر لها من مغبة التوغل في الصحراء بمفردها ، لكنها اختارت تجاهل تحذيره . لم تفكر طويلاً في المخاطر التي قد

تتعرض لها .

كان مارك جالساً يسجل بعض الخواطر في دفتر صغير . وعندما مرت به رفع رأسه قليلاً ، مبتسماً بخجل ، ثم استأنف الكتابة . ارتاحت الى تفهمه لوضعها وتركها تمضي في سبيلها . اما فريزر فلم تعثر على اثر له .

بدأ التوتر بالتضاؤل وهي تحث الخطى الى الأمام . كانت الشمس تطل من وراء الأفق متمهلة في صب حرها الحارق ، ولاحت في البعيد صفوف من التلال الواطئة ترفل في ضباب شفاف . وانتشرت هنا وهناك اشجار غليظة الجذوع ، مجوفة على نحو يشكل مأوى طبيعياً . أسفت لعدم جلبها آلة التصوير ، اذ كانت ستلتقط صوراً رائعة ، تحتفظ بها لنفسها ، وتدخل روعتها بعض البهجة على قلب والدها الحزين .

ومتى سترى الرسوم الصخرية ؟ تساءلت كوري . حتى الآن لم تجد شيئاً ينبىء بوجودها . ساورتها الآمال بالعودة من الصحراء متأبطة الصور التي حلم بها والدها . ستكون مواجهة والدها محرجة وأليمة بدون هذه الصور .

خامرها شعور أن احداً يتعقبها . لم تسمع وقع أقدام اذ ان سماكة الرمل كفيلة باخماد أي صوت .

طرق اذنيها حفيف العشب الجاف ، وانقصاف غصن يابس ، فتأكدت كوري انها ليست وحيدة كما كانت تظن . أهو حيوان أم انسان ؟ ترددت في الالتفات الى الوراء ، وفي ظنها ان حركة كهذه قد تؤدي الى هجوم مفاجىء .

حثتها غريزتها على الركض بأقصى سرعة ، لكنها أجبرت نفسها على السير ببطء شديد . كانت اعصابها كالوتر المشدود ، تصارع هلعها بارادة تلقائية اكتسبتها من مهنتها . لقد ابتعدت كثيراً عن المخيم وعليها أن تقفل عائدة وعبر طريق جديد ، اكثر اماناً .

انقصف غصن شجرة ، فانتفضت مذعورة . وامتدت يدها الى شفتيها تطبق عليها وتكبت صرخة الهلع . استدارت تلقائياً ، تبحث عن شبح يحوم حولها .

كان بويد يقف على بعد خطوات منها . نظرت اليه شاعرة ببعض الارتياح . لم يخطر ببالها انها ستبتهج يوماً برؤية هذا الوجه المتورد الوجنات ، لكنها في تلك اللحظة كادت تعانقه وتحمدالله على وجوده قربها .

اختنقت الكلمات في حنجرتها :

ـ انت ؟ بويد . . . اعتقدت . . .

فابتسم قائلاً :

ـ ماذا اعتقدت ؟

تبخر ابتهاجها العفوي وهي تتمعن في عينيه الجاحظتين :

ـ اعتقدت ان احداً يتعقبني . ولم أكن مخطئة . ما الذي اتى بك الى هنا ؟

ـ هل يحتاج الأمر الى شرح يا كوري ؟

بلعت ريقها ، تحاول تغيير مجرى الحديث :

ـ يا له من يوم جميل ، اظن انك رغبت في التنزه قليلاً .

خنق قهقهته وهو يقول :

ـ رغبت في اكثر من نزهة يا ملاكي الطاهر . ولكن أنت تعرفين هذا طبعاً .

ـ لا افهم معنى كلامك .

استبد بها الخوف وهي تفكر بالمسافة التي تفصلها عن المخيم .

تراقص بريق خبيث في مقلتيه واستطرد :

ـ ان البراءة لا تلائمك . ما ان تركت اريك هوغن حتى وقعت في احضان فريزر .

قالت باصرار :

ـ انا عائدة الى المخيم .

وبدا جسمه الضخم سداً منيعاً ، يلغي امامها كل المنافذ ، فألحت عليه :

ـ دعني أمر يا بويد .

ابتسم :

ـ كفي عن التمثيل .

وتراءى لها ان هذا الرجل الضخم خفيف الحركة ، سزيعها . وما ان حاولت التقدم حتى امسك بها وشدها نحوه ، فأطلقت كوري صرخة ألم وهو يغرز اصابعه القوية في لحم ذراعها الطري . قاتلته بعنف وضراوة ، لكن دون جدوى . طوقها بذراعيه بقوة حيوانية خانقة فكاد يغمى عليها . ثم رفع رأسه ليتنشق بعض الهواء :

ـ ما هذه المقاومة ؟ هل تفضلين فريزر علي ؟

وانتهزت كوري الفرصة لتلطمه على وجهه بجماع قبضتها ،

فاصابت انفه ، ورأت الشرر يتطاير من عينيه وهو يصيح :

ـ ستندمين على وقاحتك ايتها الشريرة .

ورماها أرضاً وهي ترتجف ذعراً . انه ينوي اخضاعها عنوة . ماذا تفعل ؟ هل تقاومه ؟ وكيف ؟

وتصاعدت من اعماقها صيحة مولولة حادة :

ـ فريزر . . . فريزر أين انت ؟

ولكن لا حياة لمن تنادي . ها هو ينحني فوقها . رفسته بجزمتها ، فلم يرتدع . بل ازداد اصراراً وهياجاً ، وأخذ يمزق ثيابها . استجمعت قواها لتعضه عضة موجعة ، فكشف عن أنياب حادة . ثم رأته يفغر فاه دهشة ، وهو يرفع بصره الى اعلى .

كان مارك يقف فوقها ، يمسك بيديه شعر بويد ، ويشده نحوه . وقرأت في وجه مارك ، رغم محنتها ، بحراً متلاطماً من الغضب .

انتصب بويد واقفاً . وزمجر :

ـ ماذا تفعل يا مارك ؟ هل تريد الاستئثار بكوري ؟

هدده مارك بقبضته صارخاً :

ـ لعنك الله كم انت بذيء .

وتشابكا بالأيدي قبل أن تتمكن كوري من التدخل . راح كل منهما يلطم الآخر ويضربه بكل ما أوتي من قوة . خافت على مارك الهادىء اللطيف أن يسحقه بويد سحقاً بفظاظته وجلافته .

لكنها فوجئت بمقاومة مارك ، وصموده امام اللكمات المتواصلة . بدا غضبه العارم دافعاً صلباً يضارع وزن بويد الثقيل

وقوته القاهرة . مع ذلك لم تطمئن كوري الى النتيجة . ان بويد سينتصر في النهاية ، وتلك مصيبة فادحة لن تسمح بوقوعها . راحت تبحث كالمجنونة عن حجر ، أو غصن شجرة لتضرب بويد ضربة محكمة .

لم يفطن أحد الى اقتراب الرجل الثالث . عمد بسهولة متناهية الى الفصل بين الرجلين وتراجع مارك الى الوراء يلهث اعياء . وحاول بويد الانفلات ليشن هجوماً جديداً ، غير ان قبضة حديدية سمرته في مكانه .

تنفست كوري الصعداء ، وهي لا تكاد تصدق عينيها . تجمدت لا تدري حقيقة وضعها وقد راح فريزر يرمقها شزراً وازدراء . ثم حوّل فريزر انتباهه الى الرجلين ، معلناً بصوت صارم جازم :

ـ لن اسمح بهذه الترهات مرة ثانية .

رد عليه مارك بعد ان هدأ روعه قليلاً :

ـ انك لا تفهم حقيقة ما جرى .

فحدّق فريزر في وجه كوري باحتقار مميت :

ـ انني افهم اكثر مما تتصور .

وهتف بويد مغتاظاً :

ـ اريد القضاء عليه . لا يمكنني السكوت بعد ان اعتدى علي .

تابع فريزر بحدة :

ـ انت تعرف سبب اعتدائه . لا اريد اعذاراً واهية . اننا فريق عمل موحد وعلينا العيش سوية . ان شجاراً كهذا يسيء الى

معنويات الرجال ككل .

عقّب مارك موافقاً :

ـ ان فريزر على حق .

فازداد بويد عناداً :

ـ ليذهب بحقه الى الجحيم .

كرر فريزر أوامره بثقة القائد :

ـ اريد ان تتصافحا مصافحة الرجال ، ولنضع حداً لهذه المهزلة .

هز بويد رأسه متجاهلاً يد مارك الممتدة لمصافحته وقال رافضاً :

ـ لا . . . لن اصافحه .

ألحّ فريزر :

ـ صافحه الآن .

بدا بويد أقل ثقة بنفسه ، وأدرك في قرارة نفسه ان عناده لن يفيده امام اصرار فريزر وأوامره الحاسمة . ورأته كوري يلوي فمه بامتعاض ، ثم يستسلم للأمر الواقع معلقاً :

ـ حسناً . ولكن وجود امرأة معنا كان خطأ لا سبيل الى انكاره .

استدار فريزر نحو كوري :

ـ كلنا نوافق على رأيك (وأشار بيده) لنتوجه الآن الى المخيم .

ـ افضّل العودة بمفردي .

تعمدت كوري اعلان تمردها على فريزر وعنجهيته بعد ان زال

الخطر عنها . وطوّق ذراعها بقبضة محكمة :

ـ ان ما تفضلينه لا يعني شيئاً بالنسبة الي . سأراكما وقت الغداء يا مارك وبويد .

٨ـ لا يمكنها بناء أي مستقبل مع هذا الرجل. لتطرد شبحه من ذهنها مرة والى الأبد: انه لن يتوانى عن تدميرها وسحق آمالها الفتيّة...

توقعت كوري درساً جديداً من التأنيب والتعنيف، وهي تسير مع فريزر في طريق العودة الى المخيم. سيفرغ كل ما في جعبته من عبارات الازدراء والاحتقار. انها على أهبة الاستعداد الآن لردّ الصاع صاعين. لن تدعه يهينها وهي تعرف ان بويد تحرّش بها، وتعقّبها دون دعوة او تشجيع منها.

ظل صامتاً، يراقب مارك وبويد يحثّان الخطى امامه. كان عليها شق طريقها وسط الأعشاب والنباتات الشائكة، فتركته يتقدمها، وتلكأت وراءه. تابع سيره واثقاً انها لن تجرؤ على تحدّي ارادته. فكرت في الالتحاق بمارك، لاغاظته وجرح كبريائه. لكنها فضلت

عدم استفزازه ، والانصياع للأمر الواقع. ألم تتعلم من بويد وخضوعه لأوامر سيده؟ انه لا يقبل اي تجاوز لسلطته المطلقة.

وحلّق بها الخيال بعيداً، وكأنها تغرق في حلم جميل ومخيف في آن معاً. وللمرة الأولى فكرت في فريزر كانسان مختلف. نظرت اليه كزوج تحيا معه تحت سقف واحد زوجة وأماً.

حاولت طرد هذه الأفكار من ذهنها. انها افكار مزعجة لا يجوز التوقف عندها. لا . . . يستحيل عليها ان تكون زوجة له. ان اية امرأة تتزوج فريزر ملوري ستعاني الأمرين، وستقع تحت سيطرة رجل متحجر الفؤاد عديم الرحمة، لا يرضى بأقلّ من الطاعة العمياء.

وقررت ان هذه المسألة لا تعنيها من قريب أو بعيد. اذ لا يمكن لها ان تكون تلك المرأة وهي تعرف مدى كره فريزر لها، ومن الأفضل تركيز اهتمامها على أمور مجدية وعملية، وكان قد حان وقت الغداء ولا بد ان الرجال يتضوّرون جوعاً.

ما ان وصلوا الى المخيم، حتى توجهت كوري نحو المطبخ لتوها وفوجئت بفريزر يسألها:

ـ الى أين تتوجهين يا كوري؟

ردّت بصوت يضج تحدّياً:

ـ ما هذا السؤال؟ انني بخير الآن، ولا حاجة الى شكر جهودك العظيمة.

فاقترح بهدوء:

ـ يمكنك شكر مارك. تعالي يا كوري.

ولمحت نظراته الشيطانية تعلن نواياه الخبيثة:

ـ الى أين؟

ـ الى خيمتنا.

تنهدت بأسى. يا لسذاجتها وطيبة قلبها. ان فريزر لن يدع الأمور تمر بسلامة. قالت باستخفاف:

ـ ليس لديّ ما أعمله في الخيمة، وتنتظرني واجبات كثيرة في المطبخ. أراك في وقت لاحق سيد فريزر.

فتحوّل وجهه الى كتلة من العداوة:

ـ لا يا عزيزتي. ليست الأمور بهذه البساطة. اريد مناقشة بعض المسائل معك، وفي هذه اللحظة.

لا فائدة من المقاومة. ألم يجد بويد نفسه في وضع مماثل؟ وماذا كانت النتيجة؟ ان فريزر يصدر الأوامر وينتظر تنفيذها والانصياع لها. أطلقت آخر سهم في جعبتها:

ـ ليس لديّ ما أناقشه معك.

فتقوّس حاجباه بتهكّم:

ـ ان لديّ أموراً كثيرة اريد مناقشتها معك.

لم ترغب في مشاكسته امام افراد المجموعة. ان حظها بالنجاح شبه معدوم، فلتحتفظ اذن بوقارها وكرامتها، وتنتظر فرصة أخرى.

أسدل فريزر ستار الخيمة وراءهما. كان الجو حاراً وقاتماً وتبينت ملامحه القاسية الصارمة، فسرت في جسمها قشعريرة خفية. اشاحت بنظرها عنه. ثم فكرت بالفرار الى الخارج. خانتها قواها

فظلّت مسمرة مكانها. مرت لحظات مشحونة بالتوتّر العنيف الخانق. وتمكنت بعد صراع نفسي مرير من النطق بكلمات متقطعة:

ـ ما الذي... تنوي مناقشته معي؟

أجاب بعنجهية:

ـ ألم أوصيك بالحذر والاحتراس؟

ـ انا... انا لم...

ـ... ويتفادي المتاعب؟

اغرورقت عيناها بالدموع، لا تدري أهي دموع الخوف والرعب أم الترقب وما يخبئه المستقبل المجهول...

اضطربت مرتعشة ويده تلمس ذقنها، وتحتضن عنقها برشاقة ممزوجة باصرار عنيد. وجدت نفسها تحدق في وجهه تنتظر مفاجأة ثانية. قال لها بصوت عذب رقيق:

ـ ماذا كنت تتوقعين عندما ابتعدت بمفردك عن المخيم؟

ـ لم أتوقع... اعني لم اعرف ان بويد سيتعقبني.

واستطرد بصوته العذب:

ـ كنت تعرفين كل شيء.

قالت بصوت أقرب الى الهمس:

ـ لا. عليك ان تصدّقني.

فتبدلت لهجته:

ـ كفّي عن التظاهر بالبراءة. ان هذه الألاعيب لا تنطلي عليّ. كلّ منّا يعلم من انت يا كوري. وبويد اكثر علماً من غيره. اما

مارك فلا يزال غارقاً في هيامه كالمراهق، ويرفض رؤيتك على حقيقتك.

حاولت التملص منه، فأحكم قبضته حول عنقها. توسّلت اليه:

ـ دعني وشأني يا فريزر.

ـ بعد ان انتهي من اشباع رغباتك.

ـ انت تسيء فهمي. كل ما أريده هو الخروج من هذه الخيمة.

شدّها نحوه:

ـ ما الذي حملك على التنزه وحيدة؟

رمت برأسها الى الوراء:

ـ لن أسمح لك باهانتي. انت شاهدتني أقاوم بويد بكل قواي.

فاسترسل في استهزائه المعتاد:

ـ ربما كنت تمثلين مسرحية جديدة.

فردّت بمرارة:

ـ ان بويد يثير اشمئزازي.

ـ وماذا عن مارك؟ هل كنت تنتظرين مارك في تلك البقعة المنعزلة؟

وقالت يائسة:

ـ فريزر لا...

قاطعها:

ـ انا آسف لتطفّلي، وافساد خطتك. ولكن لا حاجة الى التوغل في الصحراء بعد الآن. انا هنا رهن اشارتك.

خالت انها في كابوس مرعب. ارتبكت كطفلة صغيرة، زائغة البصر، مشوشة العقل، لا تفقه ما يدور حولها. تمنّت في اعماقها لو ان فريزر رجل أقل فظاظة وخشونة. لماذا لا يخاطبها بهدوء وروية، ويعاملها باحترام يليق بمشاعرها؟ انها تكنّ له اعجاباً دفيناً صادقاً رغم تصرفاته وسلوكه. الا توجد طريقة ما تمكنها من التفاهم معه، وبحث كل الأمور بنضج وعمق؟ هل كتب لها ان تستمر في عراك مرهق معه، لا تتوصل الى أية نتيجة حاسمة؟

رأت وجهه يكفهر كليلة شتاء عاصفة. وكادت عيناه تتفجران حمماً. لا سبيل الى اختراق هذه الحواجز الهائلة. لتعتصم بالصمت والصبر، والأمل بغد مشرق بعد هبوب العواصف وزمجرة الرعد.

غرز عينيه في وجهها، ثم طوّقها بذراعيه. فأطرقت برأسها توجّساً. راح يعانقها عناقاً طويلاً صامتاً. استرخت وهي تشعر ببعض الدفء، وبحرارة منعشة مفاجئة. ما أروعها لحظة، وما أجملها وهي تذوب كقطعة ثلج، وتنبت وردة مفتحة البراعم والأكمام تتيه بين اجنحة النسائم، وتنثر عطرها مع اطلالة الفجر.

أفاقت من حلمها وهي تشعر به يدفع بها أرضاً، ويبتعد عنها. أصيبت بالذهول، مرتعدة الفرائص،مضطربة.

خرج من الخيمة، مسرعاً، لا يلوي على شيء.

ما هذا الجنون الذي استبد بها؟ سألت نفسها منهكة يائسة. انها تحب فريزر، ولا يمكنها ان تحبه. انه يمثل كل ما تكرهه من صفات ومشارب. ومع ذلك، كانت تتملكها مشاعر متضاربة تجاهه وتتأجج في داخلها عواطف غريبة لا تمرّ بها وهي في صحبة مارك،

رغم احترامها له، وتقديرها لمواهبه.

وادركت كوري وهي تستلقي على أرض الخيمة انها لن تقوى على طرد شبح فريزر من ذهنها حتى ولو ألغت الرحلة، وأقفلت راجعة الى منزلها، كأنه قدر محتوم لا سبيل الى رده او تجاوزه.

اهملت طعام الغداء ذلك اليوم. ولم يبحث عنها أحد من الرجال. حتى فريزر اختفى عن الانظار، وتركها وحيدة في خيمتها تضرب اخماساً بأسداس.

ومرت ساعة مرهقة، مليئة بالقلق. ثم سمعت صوتاً يناديها من الخارج:

- كوري؟

ثم أطل برأسه، فهتفت:

- مارك؟ ما هذه المفاجأة؟

- هل أنت بخير؟

- نعم الحمد لله.

ظل واقفاً خارج الخيمة مكتفياً بمد رأسه عبر فتحة المدخل.

- تغيبت عن الغداء.

فاستندت الى مرفقها:

- كنت أعاني من صداع أليم. يمكنك الدخول يا مارك.

قال بإلتياع:

- لا.. هل انت متأكدة من ان كل شيء على ما يرام يا كوري؟ ألم يسبّب لك بويد بعض الأذى؟

فضحكت قائلة:

ـ انت تكفلت بحمايتي. ولم اشكرك على عملك النبيل حتى الآن.

اجاب وكأنه يعاني من قلق ما:

ـ كنت قتلته لو تجرأ على خدشك. وماذا عن فريزر؟ هل عمد فريزر الى... (وتجمّدت الكلمات في حنجرته).

قالت تطمئنه قدر المستطاع:

ـ أنا بخير يا مارك. أقسم لك.

ومرت ثلاثة أيام باهتة، عادية. غير ان كوري ظلت متوترة الأعصاب حائرة. كان فريزر يتجاهلها ويعتصم بالصمت امامها. وواظبا على تقاسم خيمة واحدة، يقضيان فيها ثماني ساعات من النوم لا تفصل بينهما مسافة تذكر، ومع ذلك لم يشعر بوجودها ولو لحظة واحدة.

قامت كوري بكل ما يترتب عليها. التقطت الصور وأعدّت وجبات الطعام. وصرفت الأمسيات قرب نار المخيم تتحدث الى الرجال. وكان مارك رفيقها الدائم، حيث حمدت الله اكثر من مرة على صداقته واخلاصه. وما ان تلتقي ببويد حتى تجده يشيح بوجهه عنها، وكأنه ينفّذ اوامر فريزر بعدم الاقتراب منها. وهو لا يفعل ذلك، خاطبت نفسها، حرصاً على مصلحتها، بل حماية لنفسه.

اصبح صمت فريزر طبيعياً، اعتادت عليه وقبلته. وبدأت تعامله بالمثل، لا تتحدث اليه الا عند الضرورة، وباختصار شديد. وعندما يهبط الليل لم تكن توحي بأي استياء او ارق يقلق نومها.

وما ان تلفظ باسمها في اليوم الرابع، حتى اصيبت بالذهول والدهشة المريبة. اكتفى بالقول:

ـ هل من جديد يا كوري؟

كان ينظر اليها بامتعاض. ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة شاحبة ولمحت في عينيه بريقاً خافتاً يزيده جاذبية. وظهرت أسنانه بيضاء قوية، تزين وجهاً لوحته الشمس بسمرة داكنة. وبانت رقبته مستقيمة، وسط ياقة انفتحت عن صدر عارم عريض.

عجزت عن محو صورته من مخيلتها. هجمت ملامحه بعفوية تلقائية واستقرت في ذاكرتها. خالته يقترب منها ويلمسها برقة ورشاقة لم تعهدها من قبل.

كم حدثت نفسها بتجاهله ودفن ذكراه الى الأبد خلال الأيام الفائتة. لا يمكنها بناء اي مستقبل مع هذا الرجل بل ستجد نفسها تحيا بائسة، تعاني الوحشة والشقاء والعذاب. لتطرد شبحه مرة والى الأبد. انه رجل لن يتوانى عن تدميرها وسحق كل آمالها الفتية.

وصمت عقلها منزوياً يجرجر اذيال الهزيمة. ها هو فريزر يقف امامها بكل رجولته وشخصيته الطاغية، فاستسلمت لعواطفها وغرائزها ترمقه بعينين تشتعلان بلون بنفسجي حالم. همست:

ـ مرحباً يا فريزر.

ـ يبدو عليك الارهاق.

قالت بتمهل:

ـ لم اتوقف عن العمل لحظة واحدة.

ـ واسترحنا من المشاكل، والنزهات المنفردة.

تلقت سخريته بكبرياء واناة. كان يتمعن في وجهها يكبت قهقهته الشهيرة.

اجابته بعد طول عناء:

- انك على حق. لم اقم بنزهة واحدة.

فتابع سخريته:

- لا بد انك قررت الاخلاد للراحة، والكف عن خوض المغامرات.

نظرت اليه باستفزاز:

- وما الذي تعنيه بالضبط؟

- اعني انك تحتاجين الى تجديد نشاطك، والقيام بنزهة قصيرة.

سألته:

- هل تنوي الانتقال الى موقع آخر؟

- لا. لم نستكمل عملنا هنا.

- اذن لا أفهم اي نوع من النزهة يا فريزر؟

- نزهة الى قلب الصحراء. ونبيت الليل هناك.

اضطربت قليلاً وهي تستفسر:

- تريد اختيار مجموعة صغيرة للذهاب معك؟

وقال بصوت عذب:

- يمكنك قول ذلك. مجموعة مكوّنة من شخصين.

- تعني انا وانت... ولا أحد سوانا.

- تماماً.

انطلقت الكلمات من فمها كطلقات نارية:

- لا. هذا مستحيل. ولماذا انا بالذات؟

- لأنني في حاجة الى مصوّر.

هزت برأسها معترضة، محتجة:

- لا. لن اذهب معك.

فألحّ قائلاً:

- نعم. نعم.

ارادت ان تصرخ ملء صوتها، وتتوسل اليه ليعفيها من هذه التجربة المرّة. الا يفهم هذا الرجل شيئاً، الا يدرك عذابها، ام انه يفهم كل شيء، ويتمتع بتجريدها من كل اسلحتها واسرارها؟

صاحت:

- يمكن لمارك ان يأتي معنا.

وسمعت اصراره:

- انت وانا فقط يا كوري.

لن يفوقها عناداً!

- لا. لن اذهب.

لوى فمه هازئاً وقال:

- اذن انت تموتين خوفاً مني يا كوري لاتيمر.

انها لم تكن خائفة منه. بل ان مشاعرها وعواطفها هي التي كانت ترعبها وتقلقها. كيف ستذهب معه وحيدة الى قلب الصحراء، وتقاوم اغراءه وانجذابها الى شخصيته؟ لا. لا يمكنها الذهاب، لا لن تذهب. شمخت برأسها معلنة:

- لا تخدع نفسك يا فريزر. انا لا اخاف منك. كل ما في الامر

انني لا اشعر برغبة في التنزه خارج المخيم.

تبدلت ملامحه. ولمحت في وجهه هبوب عاصفة مدمرة، عنيفة لا تبقي ولا تذر. قال لها باصرار حاسم:

ـ نغادر غداً مع شروق الشمس.

٩ـ حاولت ان تنسى انها تغرس نبتة شقائها مع هذا الحب. سيكون لها متسع من الوقت لتفكر بذلك. أما الآن فعليها اقتناص هذه الليلة النادرة مع من تحب.

www.al-maktabeh.com

انبلج الفجر يضيء اطراف المخيم المتثائب. ووقف بيتر بجانب سيارة الجيب لتلقي تعليمات فريزر الأخيرة، فهو سيتولى مسؤولية الاشراف على العمل في غياب القائد. وبرز مارك من خيمته يحوم حول السيارة، كالح الوجه، كئيب المظهر. أحست كوري انه يتمنى لو يستطيع منعها من الذهاب. لكنه اكتفى بالقاء تحية الوداع، موصياً اياها بالاحتياط والحذر.

كان الفضاء يستحم بشعاع يوم جديد عندما غادرت السيارة المخيم. شعرت كوري بلسعة برد خفيفة، فتلحفت ببطانية زوّدها بها فريزر. جلست صامتة على الطرف الأقصى من المقعد، لا

تدري ما تخبئه لها الأيام المقبلة. وخامرها احساس غريب بتطورات جديدة ستقلب حياتها رأساً على عقب.

اعتصم فريزر بالصمت ايضاً، يقود السيارة فوق منبطح متعرج، مليء بالحفر. يحتاج الى تركيز تام. وراحت كوري بين الفينة والأخرى تختلس النظرات اليه. بدا كما توقعته دائماً صارماً، حازماً، مسيطراً على زمام الأمور.

فكرت في الحياة الزوجية معه، وبما تنطوي عليه. لم يخامرها شك انه سيكون الشريك المهيمن. ولكن زوجته، اذا كانت تحبه، ستجد سعادة في العيش مع رجل بهذه الصفات. اذ ان شخصيته المهيمنة تعني ايضاً الامان المادي والنفسي، والاطمئنان الى قدرته على معالجة اية مشكلة طارئة.

هل تقبل زوجته الجانب السيء من طبيعته؟ ولم تتردد كوري في الاجابة على سؤالها بنعم كبيرة. انه يخفي وراء هذا التفوق المتعالي حناناً عميقاً، حاراً، او هكذا ارتأت كوري ان تتصوره. . . زوجاً محباً، يفيض عاطفة وحناناً.

ـ هل تستغرقين في احلامك؟

رن صوته كالجرس في تلك السكينة، فنظرت اليه مندهشة. كانت واثقة من انهماكه في التركيز على الطريق الصعب، فلم يتبادر الى ذهنها انه يعبأ بها. يا لقوة ملاحظته وحدة ذكائه.

قالت له:

ـ كنت أفكر في هذه الصحراء وغرابتها.

علّق يطمئنها:

ـ انها حقاً صحراء غريبة.

ولم يفت كوري ان الحديث لم يكن يدور حول الصحراء. ألقت نظرة من النافذة وقالت:

ـ كل هذه الأعشاب، والمستنقعات. كنت أتوقع مجرد بحار من الرمل.

قال متمهلاً:

ـ وتوجد رمال أيضاً، وبكثرة وغزارة. ولكن من الصحيح القول ان التنوّع هو سمة هذه الصحراء. وهذا ما يعجز عن فهمه الذين لم يسبق لهم المجيء الى هنا.

استطردت، وهي ترى سرباً من الظباء يعدو فوق العشب اليابس بحركات منتظمة:

ـ كم كان والدي سيعجب بهذا المشهد.

فوافق بصوت هادىء، متعاطف:

ـ لا شك في ذلك.

سألته دون ان تلتفت اليه:

ـ انت لا تكرهه اذن؟

ـ لم اكرهه في حياتي. اختلفنا في الرأي، ولكن احترامي له ظل كما هو. (ولمست يده ذراعها) انظري يا كوري، هل شاهدت ذلك الفيل؟

بلعت ريقها:

ـ ما أغباني، خلته في البداية صخرة من الصخور.

ـ انه فيل.

ازدادت اهتماماً:

ـ هل هو خطر؟

ـ في بعض الأحيان. ان خطره يتوقف على كيفية تصرفنا.

هل يحدثها بعبارات مبطنة مرة اخرى؟ لم تعد تبالي. انها تعرف الآن مدى اعجابها به، ورغبتها في اختراق اسراره الدفينة، وهي تعيش لحظات مليئة بالمفاجآت والابتهاج والتوقع.

وشعرت باصابعه تلتف بقوة حول ذراعها وكأنه يقرأ افكارها:

ـ تمتعي بهذه الأيام النادرة يا كوري.

ولاحت ابتسامة خفية فوق شفتيه، فسرت في فؤادها غبطة عارمة:

ـ هذا ما أنوي فعله.

وتبدلت الأجواء بعد ذلك. لم يعد محتماً عليها الاستمرار في الحديث بل اخذت الأمور تبدو طبيعية، عفوية، وزال اي توتر او شعور بالضغط والتكلّف. كان فريزر يعرف الصحراء جيداً فراح يدلّها على اشياء جديدة من الصعب ان تتبيّنها وحدها.

ازدادت الشمس سطوعاً، ترسل أشعتها الحارقة فوق الشجيرات والأعشاب والرمال. وتوالت المشاهد الطبيعية أمام عيني كوري، زرافات وفيلة، ظباء، وقطعان من الوعول ذات القرون الحادة، القوية.

وتراءى في البعيد صف من التلال الواطئة، تعانقها أكوام هائلة

من الصخور، وبدأ فريزر يتجه مباشرة نحو الصخور. هتف بعد قليل:

ـ هل الكاميرا جاهزة؟

أوقف السيارة على مقربة من الصخور. وامسك بيدها يساعدها على السير فوق الرمل الناعم. لم ترفض مساعدته، مع انها كانت قادرة على تدبّر امرها.

وها هو بثقة عارمة جازمة يشير الى الرسوم الصخرية، تلك التي داعبت احلام والدها، وشغلت ايامه، وملكت جوارحه. حبست كوري انفاسها، وهي لا تكاد تصدق عينيها.

انها تراها الآن كما هي منحوتة، بارزة، رائعة. توقفت طويلاً امام المشهد الأول، الذي يظهر مجموعة من الصيادين يطاردون جاموساً.

كانت هناك رسوم عديدة، يروي كل منها قصة مختلفة. ولم تتمالك من ابداء اعجابها بمهارة هذا الفن القديم وهي تمعن النظر بدقة وكأنها في حلم جميل.

مضى بعض الوقت قبل ان تتذكر آلة التصوير المتدلّية من كتفها، وانكبت تلتقط الصور بلهفة وشغف وحماس.

وحان وقت استئناف الرحلة، حيث توغّلا في قلب الصحراء أبعد فأبعد. وعثرت على مزيد من الصخور والرسوم، وتابعت التقاط الصور بينما كان فريزر منهمكاً في أمور أخرى.

التفتت كوري حولها، منتبهة الى اقتراب المساء، وامتداد الظلال. سيهبط الظلام بعد فترة وجيزة وهما على بعد أميال من

المخيم. كانت تعرف منذ البداية، انهما سيقضيان الليل وحيدين في الصحراء، ولكن معرفتها أصبحت الآن واقعاً ملموساً داهماً.

اوقف فريزر السيارة قرب كومة من الصخور، واطفأ المحرك، واعلن:

ـ سننصب الخيمة، ونبيت الليلة هنا.

وافقت بتوجّس:

ـ نعم. انها بقعة ملائمة.

حدجها قائلاً:

ـ ماذا دهاك؟ يبدو عليك القلق يا كوري.

ردّت بسرعة:

ـ لا تكن سخيفاً.

وسألها بلطف، مشيراً الى موضع الخيمة:

ـ هل هذه سخافة؟

قالت مبتعدة عنه:

ـ نعم. لا يوجد ما يدعو الى القلق. ألم يسبق لنا ان تقاسمنا خيمة واحدة؟ يكاد الظلام يداهمنا، فلنبدأ بنصب الخيمة يا فريزر.

رأته يكبت ضحكة خبيثة. انه يفهم مشاعرها، فكّرت بحزن، ولا سبيل الى اخفائها عنه.

وسمعته يقول موافقاً وهو يتجه نحو السيارة:

ـ انها فكرة صائبة.

نصب الخيمة بسرعة فائقة، وأوقد النار لاتقاء لسعات البرد. بدت الخيمة صغيرة، موحشة معزولة، فوق بقعة شبه قاحلة، تحيط بها الرمال من كل جانب. رمال مترامية تمتد في كل اتجاه الى ما لا نهاية.

حمل فريزر صندوقاً ثقيلاً من السيارة، ورماه بجانبها. عرفت كوري انه يحتوي مآكل متعددة.

كان الليل يرخي سدوله، وهما يتناولان طعامهما. وفوجئت كوري بشهيتها، والتهامها الأكل التهاماً، رغم اعداد فريزر لهذه الوجبة المرتجلة، المكونة من لحوم المعلبات المالحة.

غمرتها الطمأنينة، وهي تجلس قرب النار ذات الهسهسة المتناغمة وألسنة اللهب المتراصة. انها ليلة ستظل محفورة في ذاكرتها مدى الحياة. غداً عندما تعود الى منزلها، ووالدها والمدينة وضوضائها، ستحملها أجنحة الخيال الى هذه البقعة بخيمتها الصغيرة، ونارها الدافئة، وستغرورق عيناها بالدموع وهي تستعيد قصة حبها الجامح، المجنون.

نعم، انها تحب فريزر، وهي تدرك ذلك الآن. منعها عنادها وكبرياؤها من الاعتراف بهذه الحقيقة قبل هذه اللحظة. خالت مشاعرها في ذلك الحين مجرد نزوة عابرة لا تلبث ان تزول. انها تحب فريزر ليس لأنه شخص جذاب فقط، بل لأسباب اخرى كثيرة. تعشق قوته وحنوّه، وتحب عقله الحاد الذكاء واستقامته وأمانته.

تحبه كما لم يسبق لها ان احبّت احداً من قبل. كم تبدو علاقتها

بصديقها اريك سطحية وتافهة امام هذا الحب الجارف، الصادق.

لم يعد اريك اكثر من ظل باهت لا يحتل حيزاً من وجودها.

ستحب فريزر الى الأبد. هذا ما أدركته الآن، وادركت انها تغرس نبتة شقائها مع هذا الحب. اذ انها لا تعني له شيئاً. لم يبادلها عواطفها، ولا يفكر الا في رغباته الخاصة.

حاولت طرد شبح الشقاء من مخيلتها، سيكون لديها متسع من الوقت لمعاناة كل ذلك في المستقبل. أما الآن فعليها اقتناص هذه الليلة النادرة والتنعم بوجودها مع الرجل الذي تحب.

راحا يتجاذبان أطراف الحديث. واكتشفت كوري صفات كثيرة مشتركة تجمعهما، كلاهما يحبان العيش في الهواء الطلق، والتمتع بجمال الطبيعة، يستمتعان بالألحان الموسيقية نفسها، ويهويان مطالعة الكتب عينها. حدّثها فريزر عن مشاريع بالنسبة الى مزرعته، ومتاعب تربية الأغنام وايجابياتها أيضاً. وظلت صامتة تصغي بينما يروي لها أحلامه وآماله. وجدت غبطة عارمة في الاصغاء اليه يسترسل في الكلام، فتمنّت لو تمكث معه قرب النار الى الأبد.

ثم كف عن الكلام، غارقاً في تفكير عميق. وسمعته يسألها برقّة:

ـ وما هي مشاريعك يا كوري؟ لا بد انك تتوقين الى استئناف عملك، والعودة الى عالم الأضواء والتألق.

همست، تخنق غصة:

- هذا ما يراه الجمهور من عالم الأزياء، ولا علاقة له بالواقع.

ألحّ قائلاً:

- انت تتوقين الى العودة.

ارادت ان تقول له: «كلا، لا أرغب في العودة، وعلى الأقل ليس الى العالم الذي عرفته. اريد الذهاب معك الى مزرعتك والعيش واياك طوال العمر». كيف تكون ردّة فعله؟ هل يحتقرها ويسخر منها؟ ام يتجاهلها ويمضي في سبيله لا يلوي على شيء؟ لا تستطيع تحمّل تجاهله وانقطاعه عنها. وقالت بصوت مرتفع:

- هذه هي مهنتي يا فريزر.

تمهّل في الجواب. ورأته يحمل قطعة من الخشب ثم يرمي بها فوق لهب النيران. وخرجت الكلمات من فمه بتأنٍ وأسى، فأدركت اساءة فهمها لنواياه وعواطفه:

- نعم عليك الاهتمام بعملك كما عليّ الاهتمام بعملي.

وسألته وكأنها لا تدري مغزى عبارتها:

- هل تظن اننا سنلتقي ثانية؟

نهض واقفاً، يحدق الى البعيد:

- انا لا أتردد على معارض الأزياء. تقدّم الليل يا كوري. هيا بنا الى النوم.

سبقته الى الخيمة. تلك كانت عادتها. وكان يتمهل قليلاً في الخارج الى ان تخلع ثيابها وتأوي الى فراشها. أما في تلك الليلة فلم

تشعر بأي دافع الى الاسراع، والحذر من العيون المتربصة. تعمّدت ان تخلع كل قطعة من ثيابها ببطء وهدوء، وكأنها وحيدة في غرفتها لا يقلقها احد، ولا تتوجس خيفة من هجوم مفاجيء. وسمعت وقع خطواته الوئيدة تقترب من الخيمة. وها هو يدخل ويمضي الى زاويته، استدارت صوبه. لم يتحرك. وباشر باعداد فراشه رابط الجأش فاتر الأحاسيس. «يا له من ثعلب مخادع»، خاطبت كوري نفسها. ارتدت ملابس النوم، وهو مطرق الرأس، يرفض رفع بصره او الايحاء بأي اهتمام.

اقتربت منه بدلال أنثوي، وقلب خافق. كادت تلتصق به. توقعت ان يذوب الجليد، ويجذبها نحوه بحنوّ وشغف. لكنها سمعته يزمجر صارخاً:

- عودي الى مكانك. كفى خبثاً ومراوغة.

وصاحت بصوت جريح:

- ما الذي تعنيه يا فريزر؟

- انا اعرفك جيداً. واعرف مؤامراتك وألاعيبك. تآمرت عليّ، وتسللت الى رحلتي في ثياب رجل ثم دبّرت مكيدة للايقاع بين مارك وبويد. وماذا تحيكين الآن من مكائد؟

اسودّت الدنيا في وجهها، وهتفت:

- يا لك من وغد وقح. اخرج من هذه الخيمة الآن.

ورأته يندفع الى الخارج كالثور الهائج.

لم يعد الى الخيمة الا بعد ان تكومت في فراشها، وظن انها تغط في نوم عميق. واحست به يأوي الى فراشه بهدوء. ظلت مستيقظة

يؤرقها قلق عاصف. يا لها من فتاة غبية. ها هي تتعرض للاهانة، مرة تلو المرة، ومع ذلك يضطرم حبه في فؤادها، وتهيم عشقاً برجل فظ، متحجر القلب.

وشعرت بحركة خفيفة حول فراشها، بانزلاق شيء ما. حملقت في الظلام، وكادت ان تصرخ مذعورة لولا ان صوتاً في داخلها منعها من ارتكاب حماقة كبرى.

كانت افعى طويلة ملساء تتمدد قربها. انها افعى سامة تدعى الكوبرا.

عليها الاحتفاظ بهدوء اعصابها. ان اية حركة ستؤدي الى عواقب وخيمة.

هل توقظ فريزر؟ وكيف دون ان تجفل الكوبرا؟ لا بد لها من التصرف بحذر شديد اذ ان زلّة واحدة تقضي عليها. التفّت الافعى منزلقة نحوها، فتجمد الدم في عروقها. ارادت ان تمسك الأفعى وتقذفها بعيداً. ارادت ان تصرخ ملء حنجرتها. ولكنها كانت تدرك مغبّة أعمال طائشة كهذه.

همست:

- فريزر.

استيقظ لتوه. نظر اليها مستفهماً.

- ماذا؟

تابعت همسها، مشيرة الى الافعى:

- صه. كوبرا.

تمتم بهدوء:

- لا تتحركي. سأتولّى أمرها.

تناول عصا كان يحتفظ بها، وانقض على الافعى يشبعها ضرباً. ثم رماها عن الفراش وسحق رأسها على الارض. وحملها بطرف عصاه الى خارج الخيمة جثة هامدة.

وعاد بعد قليل وكوري لا تزال ترتجف ذعراً. سألها بلهجة حارة صادقة:

- هل انت بخير يا كوري؟

نظرت اليه. وفغرت فمها لا تستطيع التفوه بكلمة. سقطت ارضاً مولولة، محطمة الأعصاب.

رفعها بيديه القويتين مردّداً:

- كوري... كوري، لا تخافي، لا حاجة الى كل هذا الآن.

كان وجهه باهراً، نبيلاً لا اثر للازدراء او السخرية في ثناياه، وتمتمت:

- ليلة البارحة...

- أعرف، تصرّفت بغضب.

سألته باستغراب:

- لماذا غضبت؟ ماذا فعلت لأثير غضبك؟

- لا شيء يا عزيزتي. كنت رائعة وجميلة كعادتك.

- وماذا بعد؟

- سأشرح لك كل شيء في وقت لاحق.

وعانقها بحرارة وكأنه يكفر عن كل ذنوبه، ويعتذر لها مبدياً

اسفه لعنجهيته، وتصرفاته الفظة، وكلماته النابية. وتهمه الباطلة.

نهضا صباح اليوم التالي انسانين جديدين. وجلسا يتناولان طعام الفطور، ويحتسيان القهوة، والشمس تطل برأسها فوق الأفق البعيد، مرسلة أشعة دافئة، منعشة. لم يتبادلا سوى بعض العبارات المقتضبة. كان الحب الذي يجمعهما أبلغ بياناً وارقى تعبيراً من اية كلمات، مهما سمت معانيها.

وتأكدت كوري ان الندم لن يزورها بعد الآن، ولن تعرف للأسف مكاناً في قلبها.

ولم يتبادر الى ذهنها، الاّ بعد وقت طويل، ان فريزر لم يقل لها انه يحبها بعد ان اعترفت بحبها له.

تابعا رحلتهما وسط الصحراء، وانطلقت بهما العربة فوق كثبان الرمال والنباتات الشائكة. وفجأة اطفأ فريزر المحرك وترجل من السيارة. اعتقدت كوري انه يبحث عن شجيرات وارفة الظلال لاتقاء الحر الحارق الذي اخذ يندلع من تلك الشمس الساطعة وهي تتوسط الفضاء. قال لها:

ـ انتظري هنا. سأعود بعد لحظة.

رأته يحث الخطى نحو اجمة من الاشجار، ويدور حولها كأنه يفتش عن شيء. ولم يلبث ان قفل عائداً، وفتح لها باب السيارة لتترجل. نظرت اليه مندهشة، لا تجرؤ على الاستفسار عن معنى كل ذلك.

مشت وراءه الى الأجمة. وكانت الحرارة حارقة تكوي نعليها

كيّاً. وتابع فريزر المسير غير عابىء بظل شجرة عارية، ففطنت الى انه لا يفكر في الحر الخانق الآن.

لم يقع نظرها على الصخور الى ان اصبحت على بعد خطوات منها. استدار فريزر وأومأ اليها بالتقدم.

لم يقل شيئاً. لكن عينيه تألقتا ببريق غريب، اثار استغرابها وزادها حيرة. جمدت مكانها تجيل النظر حولها. هدأ روعها وغمرها شعور عارم بتوقع مفاجأة سارة طالما حلمت بها. امسك فريزر بيدها، ليعبرا ممراً ضيقاً بين الصخور، يؤدي الى كهف شبه مظلم.

كانت اكوام من الحجارة تحجب المدخل، فكادت تتعثر وهي تتبين معالم درب ضيق كسته الاعشاب والنباتات الشائكة. ضغط فريزر على يدها يساعدها، ويجرّها الى الامام.

وها هما يقفان داخل الكهف. خفق قلبها دهشة، منبهرة لا تصدق عينيها.

كانت رسوم الحيوانات الصخرية مطابقة لوصف والدها لها... منظر صيد يغطي حائطاً باكمله. وادركت سر توق والدها، وهيامه بهذه الرسوم وهي تلمس الدليل القاطع لمس اليد.

وراحت عيناها تتنقلان بين رسوم حيوانات متعددة، متنوعة، بارزة الأطراف، واضحة التفاصيل، تكاد تقفز من مكانها بعفوية طبيعية رشيقة الحركة، سريعة العدو.

رمقت فريزر ببصرها. كان يراقبها وفي عينيه الف سؤال.

عجزت عن النطق او التعبير عن مشاعرها الجياشة. تبدلت ملامحه وارتسمت فوق ثغره ابتسامة دافئة، عذبة. وطوق منكبيها بذراعه مؤكداً اعتزازه بها، واغتباطه بمشاطرتها هذه اللحظات النادرة.

عادا الى العربة لجلب آلة التصوير. والتقطت كوري عدداً هائلا من الصور. وتمنّت لو تستطيع الاتصال بوالدها، وابلاغه نبأ اكتمال حلم حياته وعمله.

جلست في العربة تطير فرحاً وسعادة، ترقب فريزر وراء المقود متوجهاً بها في طريق العودة. تململت في مقعدها، تسأله وهي تعرف الجواب سلفاً:

- هل اتيت بي الى هنا للعثور على الرسوم الصخرية؟

- نعم.

استطردت:

- اذن كنت تؤمن منذ البداية بوجودها؟

فأجاب مبتسماً:

- ان والدك رجل عنيد يا كوري. وهو ايضاً حكيم وداهية. كنت واثقاً من نظريته وبعد نظره. ولم يخب ظني.

وصلا الى اطراف المخيم، ورأت فريزر يوقف العربة وسط دائرة من الاشجار. طلب منها التقاط بعض الصور في تلك البقعة دون ان يوضح لها مغزاها او اهميتها. وانكبت على عملها وهي مدركة ان الفيلم في الكاميرا شارف على نهايته. ووقف فريزر يدلي برأيه، ويشير عليها بالتقاط هذه الصورة او تلك.

وفجأة سمعت حركة ثقيلة، وصوتاً عميقاً كالبوق. التفتت مذعورة فرأت فيلاً هائجاً يهجم عليهما. اسرع فريزر يجرها من يدها للفرار قبل فوات الأوان.

واطلقت ساقيها للريح راكضة صوب العربة. سقطت آلة التصوير من يدها فوق صخرة ناتئة، وتناثرت شظاياها فوق الرمال. ارادت ان تعود لعلها تنقذ الفيلم الذي يضم شريطه حلم والدها ومحور حياته وعمله، غير ان فريزر دفعها الى الامام، وهو يعرف ان تعرّض الفيلم للضوء قضى عليه وافسده.

أبدى فريزر اسفه وهو يدير محرك السيارة. لم يكن في وضع يسمح له بالعودة الآن. بدأ الطقس يتغير، وتجمعت سحب قاتمة تنذر بعاصفة رهيبة. وهما قرب المخيم الآن، وكادت الرحلة تنتهي. لن يهدر فريزر مزيداً من وقته الثمين، ويريد مغادرة الصحراء قبل ان يقع ضحية تطوّرات مباغتة.

انضما الى الرجال في المخيم. وانصرف فريزر الى اعماله المتعددة. لاحظت اهماله وتجاهله لها، وغرقه في احاديث خاصة مع المجموعة. يا لبؤسها وشقائها. ماذا تفعل الآن؟ وقعت في حب رجل غريب الأطوار، واعترفت له بصدق مشاعرها الدفينة، وها هو يمر امامها وكأنها شخص عادي، لا يعبأ بها، ولا يبالي بأعصابها المرهقة، واضطرابها وقلقها.

اوت الى فراشها في وقت مبكر. ولم يزرها النوم الا برهة وجيزة، ظلت مؤرقة، تشعر بألم موجع وعذاب نفسي طاغ. ودخل فريزر الى الخيمة في ساعة متأخرة حيث خلع ثيابه بسرعة، وغط في نوم

عميق مطمئن البال، لا يعكر صفو ليلته شيء مطلقاً.

نهضت صباح اليوم التالي، فأخبرها الآخرون ان فريزر ذهب قبل انبلاج الفجر الى مكان ما خارج المخيم. ظلت صامتة، تتأجج في داخلها نيران الغيظ والحيرة.

تقدم منها مارك يلقي التحية بخجل واحترام. ودعاها للسير معه في نزهة قصيرة. لم ترفض بل قفز قلبها فرحاً. ان مارك صديق مخلص تعتمد عليه، وترتاح الى رفقته. وما ان سارا بضع خطوات حتى توقف فجأة. واطرق برأسه. وبغريزة الانثى توقعت كل كلمة سينطق بها. وما لبث ان سألها بعفوية مدهشة:

ـ كوري... كوري هل تتزوجينني؟

اجابته بلطف وكياسة:

ـ مارك، يا صديقي العزيز. اتمنى من اعماق قلبي ان اقول نعم، ولكني لا أستطيع.

احتضن يدها برقّة:

ـ سأوفر لك كل السعادة والأمان.

ـ أعرف ذلك.

يا ليتها لم تقع في حب فريزر، خاطبت نفسها. ان مارك اكثر لطفاً واشد نبلاً من اي رجل عرفته. ولكانت احبته حباً جماً لولا شبح فريزر الذي لا يبارحها. ان مارك يمثل كل الصفات التي تتمناها في الزوج المثالي الذي تحلم به.

ولكنها تحب شخصاً آخر، ولا يجوز لها ان تظلم مارك وتخدعه. وقال بصوت مضطرب:

ـ كوري.

ـ مارك. لا استطيع. انا آسفة.

ـ هناك شخص آخر (وعندما لم تجبه تابع بحدّة) فريزر، اليس كذلك؟

اغرورقت عيناها بالدموع يمزقها صراع حاد. وازداد مارك عنفاً:

ـ ان فريزر لا يليق بك يا كوري.

ـ لا يليق...

ـ انه لا يؤمن بالزواج.

قالت متنهدة:

ـ انا اعرف هذا.

جذبها نحوه برفق:

ـ اذن... لن تقضي حياتك وحيدة. اني احبك يا كوري.

اعتصمت بالصمت. واستسلم مارك للأمر الواقع. قفلا عائدين الى المخيم، وكأن رابطاً خفياً كان يشدّهما الى بعضهما انقطع فجأة. كانا يسيران على ارض المخيم بوجل، وتوجس. والتفت مارك نحوها:

ـ وداعاً يا كوري. لا أعتقد اننا سنلتقي ثانية. علينا الاستعداد الآن للرحيل من هذا المكان والرجوع الى المدينة.

ارادت كوري ان توضح مشاعرها الحقيقية تجاهه، وتؤكد مدى اعجابها به واعتزازها بصداقته. ثم فطنت الى وجود فريزر يقف على بعد امتار منهما يراقبهما بحذر وترقب. وصاحت تنادي اسمه،

وقد اذهلها بعودته الى المخيم:

- فريزر... لم اتوقع عودتك بهذه السرعة.

اكتفى بهزة من رأسه، وتوجه الى خيمته عابس الوجه، متثاقل الخطى. ثم قفل راجعاً، وسمعته يعطي اوامره الى الرجال بحزم الامتعة، والاستعداد للرحيل خلال ساعة من الزمن.

وها هي تقود سيارتها وحيدة، تعبر منعطف الجبل الحاد، مسرعة قلقة، تنظر الى ذلك الضباب المتكوم فوق القمة، وكأنه يذكّرها بفريزر، وغموضه واستعلائه، وكيفية وداعه لها بكلمات جافة مقتضبة، تفوح عنجهية وتكلّفاً.

دخلت المنزل فهب والدها من كرسيه يرحب بها، ويعانقها بفرح وعطف أبوي. وبعد أن طمأنته عن نفسها، وهدأت من روعه لاكتشافه سبب غيابها الحقيقي، اخذت تشرح له مأساة الرسوم الصخرية، وتحطّم آلة التصوير، وتلف الفيلم. أصيب بخيبة الأمل. ثم لم يلبث ان استعاد مرحه وحيويته، وهي تروي له كيفية اكتشافها للرسوم. نسي الصور الفوتوغرافية، وضياعها في حادث مؤسف، وغمرته سعادة لا توصف، لتأكده اخيراً من وجود الرسوم الصخرية، وتحوّل حلمه الى حقيقة ملموسة.

اتت على ذكر فريزر مرة واحدة، وبعد مرور اسبوع على عودتها. لم تشبع فضول والدها، وتعطشه للاطلاع على اخبار رجل كان صديقاً له في غابر الأيام. كان فريزر موضوعاً مؤلماً حاولت تجنّب الخوض فيه، او الايحاء لوالدها بما يضج في داخلها من أحاسيس ومعاناة.

خرجت ذات صباح الى المدينة تتجول في أسواقها، وتتنقل من مكان الى آخر، وكأنها تهيم على وجهها دون هدف أو غاية. قررت دفن أحزانها في ضوضاء المدينة، وصخبها، بعيداً عن الاجواء الهادئة التي تحملها على التفكير بقصة حبها الناقصة. وكانت لا تزال حائرة في موقفها من مهنتها كعارضة ازياء، تارة تعقد العزم على استئنافها، وطوراً تتردد وتقرر الانتظار حتى تنجلي الأمور، وتسيطر على مخاوفها وأعصابها المتوترة.

عادت قبل المغيب تقود سيارتها نحو منزلها. رأت سيارة طويلة فضية أمام المنزل لم يقع عليها نظرها من قبل، وظنت ان احد الاشخاص اتى لزيارة والدها.

ترامت الى اذنيها الأصوات من غرفة الجلوس. وسارت نحو الباب ثم تجمدت في مكانها. لم تتبين معالم الزائر، غير ان قلبها حدثها بهويته.

خطر لها ان تدير ظهرها، وتفر الى مكان آمن تختبىء فيه. وخطت تهمّ بالابتعاد عن الباب. فسمعت والدها يناديها:

- كوري.

اجابته بتأفف:

- نعم يا أبي؟

- عندنا زائر.

دخلت غرفة الجلوس ببطء شديد. وأحست بالوهن يتسرب في قدميها، والدماء تتجمد في عروقها.

استدار نحوها بوجهه الأسمر، وبعينيه الضاحكتين:

ـ مرحباً كوري.

فردّت بصوت خافت:

ـ مرحباً يا فريزر.

لماذا اتى الى هنا؟ لم يسبق له ان فكر في زيارة والدها. لماذا الآن بالذات؟ هل جاء ليضاعف عذابها؟

وهتف والدها وكأنه يقرأ افكارها:

ـ لقد جلب لنا فريزر هدية.

ردّت الكلمة كالصدى:

ـ هدية؟

ـ هدية خاصة جداً.

هدية خاصة جداً. ما الذي يعنيه والدها؟

اشار والدها الى الطاولة في الزاوية، فرمقتها بارهاق. وخالجها شعور داخلي انها تعرف ما ينتظرها.

تبعثرت صور الرسوم الصخرية على الطاولة، مبرزة تفاصيلها الدقيقة، وتبزّ صورها فناً ودقة.

كانا يراقبانها بصمت، وكأن الغرفة تشهد حدثاً خارقاً، تنعقد امامه الألسنة. ونهض والدها من مقعده، يستأذن بالذهاب الى مكتبته.

استبد بها الاضطراب وهي ترى والدها يغادر الغرفة. ثم سألته:

ـ انت التقطت هذه الصور؟

هز رأسه موافقاً، معتدّاً بنفسه.

وبلعت ريقها:

ـ شكراً يا فريزر. يا له من عمل رائع.

ـ هذا اقل ما يمكنني القيام به بعد ذلك الحادث المؤسف.

ـ كنت تعرف مدى أهمية هذه الرسوم بالنسبة الى والدي (وفكرت قليلاً وهي تستطرد)، ولكن باستطاعتك ارسال الصور بالبريد، لماذا قطعت كل هذه المسافة لجلبها؟

وقال بحرارة وجدّية:

ـ لأنني اردت يا عزيزتي ان أرى فرح والد زوجة المستقبل بنفسي.

خفق قلبها طرباً:

ـ فريزر. ما الذي تقوله؟ أنت لا تعني...

ـ نعم انا أعني كل كلمة أقولها. وها أنا أسألك رسمياً، وأطلب يدك للزواج، هل تقبلين الزواج مني؟

ـ نعم. نعم. كيف يمكنني ان أرفض (ثم فكرت قليلاً)، ولكن اين موقفك من النساء ونظرتك الضيقة اليهن؟

ابتسم بحنو:

ـ هذا كان رأيي الى أن التقيت بك. لم أقرر الوقوع في حبك. يشهد الله انني قاومت الشعور طويلاً، ولكن دون فائدة.

عانقها عناق العشق المتيم. ثم رفع رأسه قائلاً:

- هيا بنا نزف النبأ السعيد لوالدك. انه ينتظرنا بفارغ الصبر.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة